

العدد: ٧٠ ربيع الأول ١٤٢٠هـ السنة التاسعة عشرة

دور المرأة في خدمة الحديث

في القرون الثلاثة الأولى

آمال قرداش بنت الحسين

الطبعـة الأولى

ربيع الأول ١٤٢٠ هـ

حزيران (يونيو) - تموز (يوليو) ١٩٩٩م

٢١٣,٩ آمال قرداش بنت الحسين

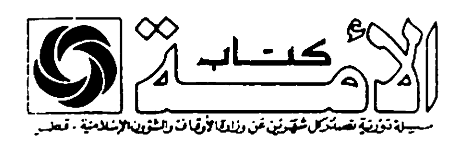
دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الاولى / آمال قرداش بنت الحسين . - الدوحة : وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ؛ ١٩٩٩ .

٢١٠ ص ؛ ٢٠ سم . - (كتاب الأمة ؛ ٧٠)

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٢٩٦/١٩٩٩

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ردمك) : ٣ - ٨٩ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

موقعنـا على الإنتـرنـت:
www.islam.gov.qa
البـريد الإلكتـروني :E-Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa



صدر منه :

- **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – الشيخ محمد الغزالي

- **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**

« طبعة ثالثة » – الدكتور يوسف القرضاوي

- **العسكرية العربية الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**

« طبعة ثالثة » – الدكتور عماد الدين خليل

- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محمود حمدي زقزوق

- **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محسن عبد الحميد

- **الحرمان والتخلف في ديار المسلمين**

« طبعة ثالثة + طبعة إنجليزية » الدكتور نبيل صبحي الطويل

- **نظرات في مسيرة العمل الإسلامي**

« طبعة ثانية » – الأستاذ عمر عبيد حسنه

- **أدب الاختلاف في الإسلام**

« طبعة ثانية » – الدكتور طه جابر فياض العلواني

- التـــــراث والمعـــاصـــرة

« طبعة ثانية » - الدكتــور أكــرم ضيــاء العمــري

- مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي

« طبعة ثانية » - الدكتــور عبــاس محــجــوب

- المسلمون في السنغال - معالم الحاضر وآفاق المستقبل

« طبعة أولى » - الأستـــاذ عبد القـــادر محمـــد سيـــلا

- البنـــوك الإســلاميـــة

« طبعة أولى » - الدكتـــور جمـــال الديـــن عطيـــة

- مدخـــل إلـى الأدب الإســلامـــي

« طبعة أولى » - الدكتـــور نجيـــب الكيـــلاني

- المخــدرات مــن القـلق إلـى الاستعباد

« طبعة أولى » - الدكتـــور محمـــد محمـــود الهـــواري

- الفــكر المنهجـــي عنـــد المحـــدثين

« طبعة أولى » - الدكتـــور همـــام عبد الرحيـــم سعيـــد

- فقــه الدعــوة ملامــح وآفــاق في حوار

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الأستاذ عمر عبيد حسنه

- قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر

« طبعـة أولى » - الدكـتـور زغلـــول راغـــب النجـــار

- دراســـة فـــي البنــــاء الحضـــاري

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور محمود محمد سفر

- في فــقه التـدين فـــهمـــاً وتــنزيـــلاً

الجزء الأول والثاني « الطبعة الأولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبدالمجيد النجار

- **في الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي)**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور رفعت السيد العوضي

- **النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور محمد أحمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل

- **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد محمد كنعان

- **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد العظيم محمود الديب

- **مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - نخبة من المفكرين والكتاب

- **مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **الصحوة الإسلامية في الأندلس**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور علي المنتصر الكتاني

- **اليهود والتحالف مع الأقوياء**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

- **الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الأستاذ منصور زويد المطيري

● النظم التعليمية عند المحدثين

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الأستاذ المكي أقلاينة

● العقل العربي وإعادة التشكيل

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور عبد الرحمن الطريري

● إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور يوسف إبراهيم يوسف

● أسباب ورود الحديث

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور محمد رأفت سعيد

● في الغزو الفكري

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

● قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور أكرم ضياء العمري

● فقه تغيير المنكر

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور محمد توفيق محمد سعد

● في شرف العربية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور إبراهيم السامرائي

● المنهج النبوي والتغيير الحضاري

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الأستاذ برغوث عبد العزيز بن مبارك

● الإسلام وصراع الحضارات

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور أحمد القديدي

● رؤية إسلامية في قضايا معاصرة

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عماد الدين خليل

- **المستقبل للإسلام**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد علي الإمام

- **التوحيد والوساطة في التربية الدعوية**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ فريد الأنصاري

- **الإسلام وهموم الناس**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ أحمد عبادي

- **التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد الحليم عويس

- **عمرو بن العاص.. القائد المسلم.. والسفير الأمين**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **وثيقة مؤتمر السكان والتنمية.. رؤية شرعية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور الحسيني سليمان جاد

- **في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

- **أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي

- **من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ عبد الله الزبير عبد الرحمن

- **عبد الحميد بن باديس رحمه الله وجهوده التربوية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ مصطفى محمد حميداتو

- **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ خالد محمد مصطفى عزب

- **نحـــــو مشــــروع مجلـــة رائـــــدة للأطفـــــال**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور مالك إبراهيم الأحمد

- **المنظور الحضاري في التدوين التـاريخي عند العرب**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكـتور سالم أحمد محل

- **مـــــن فـقــــه الأقـليـــــــات المسـلمـــــة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خـاصة بالمغرب - الأستاذ خالد عبد القادر

- **الاجتهـــــاد الجماعـــي في التشــريـــع الإســلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد المجيد السوسوه الشرفي

- **النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا .. قراءة في البديل الحضاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب - الدكتور قطب مصطفىٰ سانو

- **إشكاليات العمل الإعلامي .. بين الثوابت والمعطيات العصرية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب - الدكتـور محي الدين عبد الحليم

- **الاجتهاد المقاصدي .. حجيته .. ضوابطه .. مجالاته**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي

- **القيــم الإسلاميـــة التربـــوية والمجتمع المعـــاصر**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب - الأسـتـاذ عبد المجيد بن مسعود

- **أضواء على مشكلة الغذاء في العالم العربي الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب - الأسـتـاذ عبد القادر الطرابلسي

- **نحـــو تـقـــويم جــديــد للكتـــابـة العـــربيـــة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن

قال تعالىٰ :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ

يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ . . . ﴾

(التوبة : ٧١)

تقديم
عمر عبيد حسنه

الحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء: ١)، وبذلك قرر حقيقة أساسية في بناء الحياة السعيدة، هي المساواة التي تقتضيها وحدة الأصل البشري، واعتبر الإيمان والتقوى والتدين الصحيح منافيًا لأي لون من ألوان التمييز بسبب الجنس أو اللون أو العرق، فالإيمان الصحيح بالله وقاية من الوقوع في التمييز والارتكاس في الجاهلية الذي قد تنزع إليه النفس في فترات الضعف وهبوط أقدار التدين، كما جعل اللهُ الأنوثةَ جزءاً من الذكورة، جزءاً زوجيًا، حيث لا يستقيم أمر الذكورة ويتحقق بالكمال إلا بالاكتمال بالأنوثة، ولا يستقيم أمر الأنوثة إلا بالاكتمال بالذكورة، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾، كما جعل استمرار الحياة وامتدادها منوطًا بهما معًا.

والصلاة والسلام على البشير النذير، الذي صوّب مسيرة البشرية

بإيقاف تسلط الإنسان على الإنسان، وإلغاء التمييز، وحقق المساواة في واقع الناس، وبلغ بالبشرية مرحلة الكمال والاكتمال، تماماً كما صوّب دورة الشهور والأيام واستدارتها، وأعاد الحق إلى نصابه، واسترد إنسانية الإنسان بشكل عام، وأعاد الاعتبار لإنسانية المرأة المنقوصة وأهليتها المطموسة بشكل خاص، فكانت المرأة (خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها) زوجة مرافقة ومشاركة في ترسيخ الخطوات الأولى لتلقي الوحي وامتداد النبوة.

لقد كانت المرأة في بيت القدوة، محل الاستشارة والرأي والحكمة والبصيرة والتثبيت وحسن التبعل والعطاء والفداء.

وجاء البيان النبوي، أن المرأة هي الشق الآخر للحياة الذي لا يكتمل إلا بشقه، كما جعلها الشقيقة بكل ما تحمل هذه الكلمة من أواصر الحب والود والتعاون والرعاية والحماية وحفظ الحقوق بشكل عام، فقال عليه الصلاة والسلام: «**النساء شقائق الرجال**» (رواه الترمذي).

وبعد؛

فهذا كتاب الأمة السبعون: « دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى »، للأخت الأستاذة آمال قرداش بنت الحسين، في

سلسلة «كتاب الأمة»، التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، مساهمة في تحقيق الوعي بدور الأمة وتحريك طاقاتها الفاعلة، واستشعار رسالتها، والتعرف على الإمكان الحضاري، الذي يؤهلها للقيام بمهمة الشهادة على الناس والقيادة لهم إلى الخير، وإلحاق الرحمة بهم.

إن التعرف على الإمكان الحضاري الذي يشكل مؤهل النهوض، يقتضي استمرار محاولات البحث في شروط النهضة، وإحياء التفكير السنني، وتجديد فرضية السير في الأرض، والتوغل في تاريخ النبوة، والتعرف على أسباب سقوط الحضارات ونهوضها، وإدراك علل التدين التي لحقت بالأمم السابقة، وبيان سبل الوقاية من تسربها إلى أمة الرسالة الخاتمة، وعدم الاقتصار على التجربة الذاتية أو تاريخ الصورة الأخيرة للنبوة في أداء أمة الرسالة الخاتمة، بل تجاوز ذلك إلى استصحاب التاريخ العام، لأن سنن الحركة التاريخية لا تتبدل ولا تتحول، والسعي الدؤوب لإعادة بناء المرجعية، والتعرف على الصفات والخصائص التي تميز بها خير القرون، في محاولة لتنزيلها على واقع المسلمين اليوم، في مجال التربية والتعليم والإعلام والثقافة والدعوة والإرشاد، والتعرف على الظروف والشروط التي توفرت لميلاد المجتمع الأول الأنموذج، لعلنا نجتهد في إدراك أهميتها ومدى الحاجة

إلى توفيرها لمعاودة النهوض، لأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، أو كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى.

لذلك فقد يكون المطلوب دائمًا وباستمرار، الاجتهاد في توليد رؤية للنهوض والتفكير في مشاريع النهوض والتجديد، من خلال قيم الأمة ومرجعيتها ومعادلتها الاجتماعية، لأن محاولات التحديث والنهوض المستعارة من خارج الأمة، لم تفلح في انتشالها، وردم فجوة التخلف، وإنما كانت سببًا في تكريس التخلف، لأن الفعل الاجتماعي لا يتكرر، كما هو معلوم.. كما أن الجمود وجعل القداسة لأقوال البشر ونقل القدسية إليها، وإحلالها محل قيم الكتاب والسنة، والتخاذل والعجز عن التوليد لرؤى وبرامج النهوض في ضوء قراءة الواقع واستلهام القيم، في المقابل لم يفلح أيضًا في توفير شروط النهوض، ورسم سبل الخروج، فكان الحال لكلا الوجهتين واحدًا من حيث المآل، سواء بالنسبة لمن جمدوا على القيم وجمّدوها وحاصروا خلودها وعجزوا عن الإنتاج، تحت شتى المعاذير والذرائع، أو بالنسبة لمن خرجوا عليها وحاولوا تجاوزها وتعاطي إنتاج (الآخر).

ولعل من القضايا الأكثر إلحاحًا اليوم، إنما تتحدد بالاستشعار أن التجديد في أمر الدين هو تكليف ومسؤولية ودليل استمرار الحياة وحركة التاريخ، وأن الركود والجمود والاستنقاع الثقافي يناقض أخص

خصائص وتكاليف هذا الدين.

وبالإمكان القول: إن التجديد من خلال العودة إلى القيم والينابيع الأولى، ومحاولة معايرة الواقع وتقويمه بها، وتوليد الأوعية الشرعية لحركة الأمة، والاستهداء بمرحلة السيرة في مجال تنزيل القيم على الواقع بحسب استطاعة الناس، ونفي نوابت السوء، ومحاصرة علل التدين، يقوم مقام التصويب الذي تكفلت به السماء في تاريخ تتابع النبوة، لأن الناس في كل زمان ومكان يميلون بطبعهم إلى القبول بالتقاليد والتوارث الاجتماعي، والاستسلام لها، وتقديس المألوف من العادات والتقاليد، والتمنع عن قبول كل جديد، وهذا مناقض لسنة الحياة وطبيعتها المتجددة باستمرار.

وقد تكون الإشكالية الأخطر على مجتمعات المسلمين، أن تحتل التقاليد الاجتماعية محل التعاليم والقيم الشرعية، وأن يكون غاية المطلوب أن يبذل الجهد للتفتيش في التعاليم الشرعية لإضفاء القدسية والمشروعية على التقاليد حتى لو كانت معوقات فاسدة، فهذا مما يفتح الباب على مصراعيه للون من الآبائية وتسلل النزعات والبذور الجاهلية إلى النفوس، في غيبة من حراسة القيم وهبوط أقدار التدين.

وقد يكون المحور الأساس، الذي تدور وتتسع وتقدس في إطاره

التقاليد، وتنكمش في مجاله التعاليم والقيم الشرعية، هو الشأن الاجتماعي، وعلى الأخص في نطاق وضع المرأة وعلاقات الأسرة بشكل عام، التي تشكل المرأة عمودها الفقري.

ولا بد من الاعتراف أن قضية المرأة وأبعاد دورها في المجتمع والحياة ما يزال من الثغور المفتوحة في الفكر الإسلامي، والسبب في ذلك -فيما نرى- العجز عن التعامل مع الواقع وتقويم مسيرته من خلال القيم الثابتة الواردة في الكتاب والسنة، وعن التعامل مع قيم الكتاب والسنة من خلال إدراك الواقع، وأننا حقيقة ما زلنا بشكل عام وفي هذه القضية بشكل خاص، نراوح في مواقع الفكر الدفاعي، وما تزال معظم اهتماماتنا أو الخارطة التي نتحرك من خلالها لم تتجاوز مسألة الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق والإرث والشهادة، وما نزال نبدي ونعيد في هذه القضايا وكأننا نشعر أننا لم نكن مقنعين بعد، وهذا يعني أننا ما نزال مستمرين في حالة الهزيمة.

كما أنه لا بد من الاعتراف أيضًا أننا أُتينا من قبل المرأة، بسبب من عجزنا عن كيفية التعامل معها، وإعطائها ما أعطاها الله، وتنمية شخصيتها، وتطوير وظيفتها، ووضع الأوعية الشرعية لحركتها وممارسة دورها في الحياة.

لقد انشغلنا بأمر الدفاع عن المرأة وبيان حقوقها ومكانتها في

الإسلام عن بناء شخصيتها، واستيعاب دورها واستشراف المستقبل الذي ينتظرها، والقدرة على استلهام قيم الوحي واستيعاب الواقع لتوليد الفقه المناسب لحركتها وممارساتها الشرعية.

ولعلنا نقول: إن القيم المتحكمة في وضع المرأة في كثير من بلدان العالم الإسلامي هي التقاليد الاجتماعية، التي لا تخلو من جاهليات لا جاهلية واحدة، وليس التعاليم والقيم الشرعية في الأعم والغالب، وإن هذه التقاليد مشبعة بصور من الوأد الثقافي أو الوأد المعنوي بشكل عام.

وهذا الوأد المناقض للخَلْقِ، المعاند للفطرة والمخالف لقيم الوحي وتعاليم الشرع، أحدث فراغًا ثقافيًا واجتماعيًا، مكّن لامتداد (الآخر) بكل موروثاته الثقافية والفكرية، وأحدث تمردًا وخروجًا وكسرًا للموازين، إلى غير ذلك من الأمور التي ندينها ونرفضها ولا نكلف أنفسنا بدراسة أسبابها .

ولو أننا استشرفنا المستقبل بشكل صحيح، وأعطينا المرأة ما أعطاها الله، وطورنا رؤيتنا لهذ العطاء ضمن الضوابط الشرعية، واعترفنا بدور المرأة الشرعي، وتجاوزنا التقاليد الجاهلية إلى التعاليم الشرعية، لما صرنا إلى ما نحن عليه، ولشكل الإسلام عقيدة واختياراً للمرأة وامتيازاً لها عن غيرها في الثقافات الأخرى، وليس وراثة

وتقليداً هشًا آيلاً للسقوط والانكسار عند الصدمة الأولى.

والناظر في أدبيات الفكر الإسلامي على مدى نصف قرن أو يزيد بالنسبة لدور المرأة وموقعها في الحياة، يجد أقداراً من التناقض والتناكر والاضطراب والتحليل والتحريم والتبعثر الفكري.. ولعل هذه الإصابات الفكرية والفقهية وانتشار عقلية المسوغات والذرائع، إنما حصلت بسبب العجز عن إدراك الواقع وإبصار وجهته المستقبلية، وسوء النظر إلى محل تنزيل النص على حياة الناس بحسب استطاعتهم. فالتسويغ والاستسلام، دائماً هو مركب العاجز المتخاذل.

وقد لا نكون بحاجة إلى القول: إن شريعة الله اعتبرت المرأة مخلوقًا كامل الأهلية ومحلاً للخطاب السماوي والمسؤولية الفردية، ومساويًا للرجل في الحقوق الإنسانية العامة والموالاة الاجتماعية وممارسة الإصلاح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

إن شريعة الله للناس لم تقم -في الحقوق الإنسانية العامة- وزنًا للذكورة أو الأنوثة، لأن من الظلم ومجانبة العدل الذي تنأى عنه شريعة خالق الذكر والأنثى، اعتماد هذه الفوارق القسرية التي ليست من صنع الإنسان حتى يحاسب عليها، وإنما جعلت ميزان الكرامة: التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴾ (الحجرات: ١٣)، وجاءت مشاركات المرأة وممارساتها في مرحلة السيرة تجسيداً لهذه الكرامة، وتنزيلاً للأحكام الشرعية على محالها، حتى لا يكون هناك مجال للعبث أو التأويل الباطل، وليكون ذلك دليلاً ومعياراً لأبعاد دور المرأة في الحياة الإسلامية على مر العصور.

فلقد بايعت المرأة، وجاهدت، وهاجرت، ومرَّضت، وعلمت، وكانت من رواة الأحاديث، واستدركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الصحابة، وقدمت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها المشورة والرأي والحكمة للرسول ﷺ -الموحىٰ إليه المستغني عن الشورى بالوحي- في صلح الحديبية عندما اختلطت الرؤية وكادت أن توقع في الهلكة، الأمر الذي شكل منعطفًا تاريخيًا وكانت له أبعاده الممتدة في التاريخ الإسلامي.

لقد أقام الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة،

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، على عكس الفلسفات الأخرى القائمة على الصراع والمواجهة بين الرجل والمرأة، وجعل القوامة التي ناطها بالرجل درجة إشراف وإدارة وليس درجة تشريف وكرامة، لأن الأكرم هو الأتقى، كما قدم كلاً باختصاصه على الآخر، وطلب التعامل بالإحسان بينهما حتى في حالة الكراهية قال تعالى: ﴿... فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، وقال: ﴿... وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ...﴾ (البقرة: ٢٣٧).

وجعل الأم المرأة أحق الناس بحسن الصحبة، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحَابَتِي؟ قال: **أُمُّكَ**، قال: ثُمَّ مَنْ؟، قال: **ثُمَّ أُمُّكَ**، قال: ثُمَّ مَنْ؟، قال: **ثُمَّ أُمُّكَ**، قال: ثُمَّ مَنْ؟، قال: **ثُمَّ أَبُوكَ**» (رواه البخاري)، كما جعل حق المرأة في الميراث بعد أن كانت محرومة منه معياراً لحق الرجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ...﴾ (النساء: ١١).

وقد لا تكون المشكلة المطروحة اليوم في مشاركة المرأة أو عدم مشاركتها في الحياة، وإنما المشكلة الحقيقية اليوم في المحاولات الدائبة لإبعادها عن قيمها وإسلامها باسم المشاركة وتحت شتى العناوين، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة وسيلة لإخراجها من دينها؟! والواقع دليل على أن المشكلة ليست في المشاركة أو عدمها، فكم من المشاركات رفضت وحوصرت بسبب التزام المرأة بقيمها الإسلامية، فالمشكلة إذن في الاستمرار في التزام المرأة القيم الإسلامية.

ومن الأمور اللافتة حقًا أنه على الرغم من حصول المرأة المسلمة على أعلى الدرجات العلمية، وتبوئها أرقى المستويات الاجتماعية، إلا أنها تبقى في نظر بعض من يدعون الديمقراطية والمساواة رجعية ومتخلفة، بسبب تمسكها بقيمها الإسلامية ولباسها الإسلامي.

ولعل المشكلة غير المصرح بها، أن المعيار اليوم هو واقع المرأة الغربية، على الرغم من كل الإصابات والأزمات التي تعيشها وما انتهت إليه في مجتمع الإباحة من المتع الرخيصة وصور الرقيق الأبيض، الأمر الذي أدى إلى وجود اجتماعي بلا آباء وأحيانًا بلا أمهات، حيث صارت المرأة في الغالب سبيلاً لمتعة الجسد، ووسيلة للإعلان وإنفاق البضائع والإغراء بالاستهلاك، قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً... ﴾ (النساء:٨٩)، وقال: ﴿ ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (البقرة:٢١٧)، فميدان المعركة الحضارية أوسع مدى من مجرد المعارك ذات الشوكة.

إن مبدأ سد الذرائع الذي كان اعتماده بإطلاقه سببًا في حرمان المرأة من كثير مما أعطاها الله، درءاً لذريعة الفساد التي أسأنا تقديرها، إذا لم ندرك أبعاده بشكل صحيح، ونحسن تطبيقه بالأقدار الموزونة والمدروسة، سوف يتحول إلى لون من التستر على الحال، والركود ومحاصرة الحراك، وقتل روح التجديد.. وسوف يقود إلى فقه الذرائع والمسوغات، فيسود فقه المخارج ويغيب فقه المقاصد والأهداف.

وهنا قضية على غاية من الأهمية -فيما أرىٰ- وهي أن الله سبحانه وتعالى -الذي خلق الإنسان والأكوان والأزمان، وأنزل شريعته الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان، وأوحى بالقيم الضابطة، لمسيرة الحياة حتى تقوم الساعة- أعلم بتقلبات العصور وما يطرأ عليها من الفساد والصلاح.. والخطورة كل الخطورة في محاصرة الأحكام الشرعية القطعية الدلالة، وتوقيفها وإلغائها تحت ذريعة فساد العصر وشيوع الفتنة. وبذلك يصبح مبدأ سد الذرائع هو الأصل

وليس الاستثناء، وكأن الله الذي شرع الأحكام لا يعلم بفساد العصر وشيوع الفتنة!

وهذا الأمر إضافة إلى ما يورثه من تعطيل الأحكام الشرعية بحجة سد الذرائع، فإنه من وجه آخر كأنه يحكم عليها بعدم الصلاحية لهذا الزمان أو ذاك، وبذلك نقع -نحن الذين ننحاز إلى الإسلام عاطفيًا- بنفس الحفر التي نأخذها على الآخرين، الذين انطلقوا من أن الإسلام جاء لمعالجة مشكلات مجتمع معين انتهى زمانه ولا يصلح لمعالجة واقعنا بكل ما فيه، فالنتيجة واحدة وإن تغير المنطلق وتناكرت الفلسفة.

لقد حرمت المرأة من بعض ما أعطاها الله من الحقوق باسم سد الذرائع.. حرمت من المشاركة في الحياة، والذهاب إلى دور العبادة والعلم، باسم حمايتها من الفتنة والفساد، فشاع الجهل وضعفت عرى التدين وفسدت التربية الأسرية والتربية الاجتماعية معًا، بسبب أمية المرأة وجهلها، وقد لا نحتاج لكثير أمثلة، لأنها تملأ الواقع، ولا يتسع المجال للإتيان على ذكرها.

وقد لا نرى أنفسنا بحاجة إلى التأكيد على أن المدافعة بين الخير الشر والصلاح والفساد، تؤدي إلى النمو والارتقاء وتحرير الحقيقة وتقود إلى النصر، وأن الضرب بين الحق والباطل هو من سنن الحياة التي

تحقق استمرارها، كما يؤدي إلى ثبات الحق وجفاء الزبد، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١)، وقال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)، وقال: ﴿... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٧).

إن الخروج من المجتمع يعطل سنن الحياة ويوقف التاريخ ويطفئ الفاعلية.. ذلك أن الاستفزاز والتحدي يصلب العود ويجمِّع الطاقة ويقضي على الرخاوة وحياة الدعة، ويدعو للتحصن والصمود ومحاولة الإقلاع من جديد.. وكم من الفرص أضعناها بسبب الانكفاء ولم يعد لنا منها إلا البكاء على الأطلال! وكم من الطاقات والإمكانات النهضوية أهدرناها بسبب الارتماء على الآخرين! وكم من الطاقات النسائية عطلناها حتى أصبحت طاقات فائضة تشكل عبئًا على أصحابها، وتفتح الباب واسعًا أمام الإصابات النفسية، لعجزنا عن استيعاب الواقع ووضع المناهج والبرامج للتعامل معه من خلال

الضوابط الشرعية، حتى أدى الأمر بسبب هذه التراكمات، إلى انهيار الجدار وتكسير الموازين الشرعية والانفلات من كل قيمة.

ولو حاولنا المقارنة بين واقع التدين في إطار المرأة في البلاد الإسلامية، التي سبقت إلى تعليم المرأة وأتاحت الفرصة أمامها لتأخذ دورها في الحياة ومواجهة المنكر، وبين واقع المرأة في البلاد التي حالت دون تعليم المرأة بحجة الحيلولة دون الفساد وشيوع الفتنة وعزلتها عن قضايا الحياة، لتبين لنا أن حالة التدين والوعي الإسلامي والالتزام والتضحية وحمل الرسالة عن اختيار وإرادة بالنسبة للمرأة، وليس عن مواريث تقليدية إسلامية شكلية، أفضل بما لا يقاس.

وقد تكون المشكلة اليوم، في انتزاع الأحكام الفقهية الشرعية، بالنسبة لقضية المرأة بشكل أخص، من سياقها وإطارها ومجتمعها، في محاولة لإيجاد مشروعية لبعض التصرفات والممارسات في المجتمعات التي لا تدين بالمشروعية العليا للإسلام، حيث لا يُستفتىٰ الدين إلا بهذه الجزئية أو تلك، وتكون كل الممارسات فيما وراء ذلك لا علاقة للدين بها.

فدور المرأة لا بد أن ينظر إليه ويمارس ضمن الرؤية الإسلامية الشاملة والإطار المرجعي الإسلامي والضوابط الشرعية التي تحكم حركة المجتمع الذي يدين بالمشروعية العليا للإسلام، ويعمل لبلوغها

ويتعاون في ذلك جميع أفراده ويستفتي الإسلام في المواقع المتعددة، لا أن تكون الأحكام الفقهية محلاً للعبث تقطع بحسب الأقيسة والأحجام والرقع المطلوبة.

والكتاب الذي نقدمه، محاولة أكاديمية لإبراز وتأصيل دور المرأة وعطائها في الحياة الإسلامية، حيث كانت في تراثنا الثقافي من ورثة النبوة راوية للنص الديني الملزم، لعل ذلك يصبح دليل عمل للمرأة المسلمة في كل عصر، حيث يعتبر هذا العطاء من أعلى أنواع الأهلية وأرقى مراتب التكريم والقيمة الإنسانية، فأحكام الدين بكل ما تصوغه من حياة الناس تُتلقىٰ وتنقل من المرأة، كما تنقل من الرجل.

ومما يعطي الكتاب تميزه، أنه في أصله رسالة للماجستير خضع للمناقشة والمعايير الأكاديمية.

وخلاصة القول: إن المرأة المسلمة -تاريخيًا- لم تكن غائبة عن الحياة، وإنما شاركت الرجل في بناء المجتمع، ومارست دورها ضمن إطار القيم الإسلامية والرؤية الإسلامية الشاملة، ولم تكن سلعة رخيصة للاستهلاك، تنتهي إلى التحلل وإهدار الكرامة باسم التحرر.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

مقدمة

أهمية الموضوع وسبب اختياره

المرأة هي الشطر الثاني في المجتمع كما يقولون، ولأمر يعلمه الله كانت الوصية بها خيراً، أمّاً وأختًا وبنتًا وزوجًا.. وبلغ الأمر مداه عندما أكد الرسول ﷺ ذلك مثنى وثلاث. لأجل ذلك وجب الاعتناء بها، بل وجب ذلك عليها في حق نفسها. والمرأة في المجتمع الإسلامي الأول، وفقت تمام التوفيق لمعرفة رسالة ربها ودورها في الحياة، وستبقى النموذج الذي لا يمكن منافسته بنية التفوق عليه، مهما بلغت الحياة أي تطور ينشده بنو الإنسان.

والمرأة في أيامنا، في أمس الحاجة إلى معرفة هذا النموذج، لتدرك متطلبات دينها ومجتمعها، ولا تلجأ إلى ثقافات تبعدها عن الفطرة وتفصل لها دوراً على مقاييس أهواء البشر لتضلها وتضل بها.

من هنا جاءت أهمية الموضوع، والحديث عن المرأة راوية ومحدثة وناقلة لنور مشكاة الوحي الإلهي، جنبًا إلى جنب مع

أخيها الرجل برابط الولاية الإيمانية، مصدر كل خير، ونافثة كل شر نفث الكير للحديد، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

ما أعظم القرآن، وما أعظم آياته، لخصت في آية واحدة المعالم الكبرى للشخصية الإسلامية، وذلك بتحديد واجباتها العملية مرة وإطلاقها مرة أخرى، يشترك فيها الرجل والمرأة سواء بسواء، لا مزية لأحد على الآخر.. والطاعة لله سبحانه تشمل كل شيء هو خير سبقته نية حسنة أكيدة.. ونقل الشطر الثاني من الوحي الإلهي -وأعني به سنة رسول الله ﷺ- يأتي في أعلى الطاعات وأسماها.

ولأن الكتابة في هذا الجانب قليلة جداً، بدا للناس وكأن المرأة في فجر الإسلام وصدره لم تدل بدلوها رواية وتحديثًا وفحصاً لطرق الحديث ورجاله، ومراجعة ونقداً، ولأجل ذلك كان هذا أحد الأسباب التي دفعتني لأكتب في هذا الموضوع

بغية المساهمة -ولو بقدر يسير- في نفض الغبار عن جهد منسي، وتجلية لحقائق باهرة سجلها التاريخ.

ولا عجب أن تكون المرأة سباقة إلى الاطلاع على أحوال الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله وسننه في أيامه، فهي الزوجة الملازمة له أكثر الأوقات.. ولم تنس السيرة أن تسجل لنا اللحظات الأولى من تلقي الوحي، وكيف اهتز له بيت النبوة وحفل به أيما احتفال، فكانت المؤمنة الأولى، والمستمعة والتالية الأولى لوحي السماء، الباذلة الأولى في سبيل الدعوة الإسلامية من نفسها ومالها، الزوجة المصدقة خديجة رضي الله عنها. وكان بيتها أول مكان تُلي فيه الوحي بعد غار حراء، وأول بيت تعهده بالنصرة، ولم يتقاعس فيه فرد من أفراده، كباراً أو صغاراً عن مساندة الدعوة، وهو أول مكان أقيمت فيه الصلاة.

وبعد خديجة يتتالى الوحي في حجرات أمهات المؤمنين، وكان للسيدة عائشة رضي الله عنها القِدْح المعلى في شرف الاهتمام بسنة رسول الله ﷺ فأصبحت مفتية ومعلمة

وموجهة لأبواب الخير، يعترف لها بالرسوخ في العلم كل من رسخ في العلم من الصحابة من الرجال، فتركت مدرسة متميزة برز فيها كثير من النساء من جيل التابعين.

ونفس المكرمة فازت بها باقي أمهات المؤمنين، فنقلت إحداهن ما لم ينته إلى سمع الأخرى أو بصرها، فكان التكامل وكان الانسجام، وكانت النتيجة السنية المتمثلة في معرفة سنة وسيرة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً.

وإذا كان من منقبة هي للرجال دون النساء، فإنما بسبب الرحلة في طلب الحديث وتدوينه، وهو جهد عليه الرجال أقدر، ومع ذلك فالمرأة كانت دائماً زوجة محدث أو بنتًا له أو أختًا، بل لقد حرصت على ألا ينقطع سندها إلى رسول الله ﷺ.

ومن ضمن أسباب اختياري لهذا الموضوع أيضًا وما يلزم أن أذكره، أن أحد أساتذتي الأفاضل اقترح عليّ الموضوع بناء على التماسي له بذلك، فلم أنشط لفكرة الموضوع لحينه، وأبديت ترددًا واضحًا، فلما رأى الأستاذ مني ذلك علق قائلاً:

«المرأة لا تحب المرأة»، فاستوقفني كلامه، وبدا لي أنه أراد أن أطلع على حقائق كثيرة جديرة بالإبراز. فأثار فيّ الفضول إلى معرفة ذلك وكان أن باشرت وضع الخطة بمساعدة الأستاذ الفاضل. واستفدت من البحث ما أحمد الله تعالى به على المنة والتوفيق.

وقد انتهجت في بحثي هذا السبل الآتية:

١- عرفت بالعلماء والرجال الذين ذكروا في هذا البحث، وقد أغفلت بعضهم لشهرتهم ولضرورة عدم تضخيم البحث على حساب الهدف، الذي من أجله كتب، حيث إننا لسنا بصدد تحقيق كتاب.

٢- خرّجت الأحاديث النبوية والآثار الواردة في البحث، فإذا كان في كتاب من الكتب الستة كالبخاري مثلاً قلت: أخرجه البخاري، وأعني في الجامع الصحيح، وكذا بقية الكتب الستة، ثم أذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الحديث ثم الجزء والصفحة، وإذا كان الحديث في غير الكتب الستة لكن من مصنفات أحدهم ذكرت الكتاب.

٣- نسبت الأقوال إلى قائليها في أغلب الحالات، إلا إذا تعذر عليّ ذلك، بأن لم يتوفر لدي الكتاب الأصل.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، والدوافع التي حفزتني على كتابة هذا البحث، ومنهجي الذي سرت عليه.

وأما التمهيد: فتكلمت فيه عن رعاية الإسلام للمرأة، وتعليمها، واهتمام النبي ﷺ الخاص بها.

وأما الفصل الأول: فتكلمت فيه عن دور المرأة في الحديث، رواية في القرون الثلاثة الأولى، فجاء في أربعة مباحث:

المبحث الأول: خصصته لبيان دور أمهات المؤمنين في خدمة الحديث، فذكرت تراجمهن وفضلهن، وذكرت أشهر تلاميذهن، ونظرة عن مروياتهن مع بيان مضامينها بشكل مجمل.

المبحث الثاني: ذكرت فيه طبقات الراويات في القرون الثلاثة الأولى، متبعة التقسيم على القرون أولاً، ثم داخل كل قرن طبقات الراويات اللائي وجدن في ذلك القرن، وذكرت أمثلة على كل طبقة، وترجمت لكل من ذكرت، وتفاديت الإطالة في ذكر التراجم.

ثم ذكرت الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال بيان الطبقات.

المبحث الثالث: بيّنت فيه مساهمة المرأة في ميدان الرحلة، وكيفية حدوث هذه الرحلات مع ذكر أمثلة للتوضيح.

المبحث الرابع: هذا المبحث كان بمثابة دراسة تطبيقية على الموضوع، تناولت فيه عدد الراويات في مجموع الكتب الستة، الصحابيات منهن وغير الصحابيات، ثم عدة مجموع روايات النساء في هذه الكتب، وطبقات الراويات وأحوالهن، ثم تكلمت عن الموضوعات التي اشتملت عليها روايات النساء، وأخيراً بيّنت القيمة الحديثية لروايات النساء وما كان منها عمدة في بابه.

أما الفصل الثاني: تحدثت فيه عن دور المرأة في رواية الحديث دراية، واشتمل الفصل على ثلاثة مباحث.

أما المبحث الأول: تحدثت فيه عن صور التحمل والأداء عند النساء، فبدأت بتحملهن في العهد النبوي وذكرت أمثلة، ثم أردفته بفترة ما بعد العهد النبوي وذكرت أمثلة أيضًا.

والمبحث الثاني: بينت فيه مساهمة المرأة في نقد الروايات، بدأت ببيان مساهمة أم المؤمنين عائشة في ذلك، وفصلت قليلاً في منهجها في النقد، ثم ذكرت بعض الأمثلة لنقد النساء للروايات مع قلتها.

المبحث الثالث: بينت فيه أيضًا إسهام المرأة في الجرح والتعديل مع ندرته، وذكرت على رأس هؤلاء المساهمات عائشة رضي الله عنها، وذكرت أمثلة أخرى.

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

التمهيد

عناية الإسلام بالمرأة تعليماً

إن أول مشروع وضع للمجتمع الإسلامي الأول هو التعليم، فقد عني به الإسلام عناية تتكافأ والرسالة العظمى المنتظر تحملها وأداؤها للناس، وكان رسول الله ﷺ أول من باشر هذه المهمة بين أصحابه، إذ هو المبلغ عن ربه، ومن ثم كان أشرف بشر لأشرف مهمة.

ولم تكن عنايته ﷺ بتعليم المرأة أنها جزء من المجتمع وحركته فحسب، ولكن بحكم تأثيرها القوي في أحداث مجتمعها.. وقد تعددت مظاهر التعليم النبوي للمرأة ورعايته لها، نجملها في العناصر التالية:

١ - الإعداد النفسي:

كان النداء الإلهي الأول للناس: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق: ١)، أول تكليف لهم.. والمرأة بخاصة تلقته وقد أوقد في ضميرها ووجدانها لهفة لنهل العلم والاستزادة من المعرفة بشؤون دينها، وأحيا فيها لأول مرة الشعور بالمسؤولية التعليمية، ولم

يكن قد بقي لهذا الشعور سوى أن يتحول إلى إقدام وتحصيل، فجاء المعلم الأول رسول الله ﷺ ليدعم هذه القابلية بتوجيهاته وهديه للمسلمة، ويطلق ملكاتها ويفك الحجر عن عقلها، ويفسح لها المجال لبث نتاج مؤهلاتها وقدراتها في الحياة، ومن ثم كان استقباله عليه الصلاة والسلام للمسلمات، وإجاباته على أسئلتهن، وتفقد أحوالهن، وحسن الاستماع لهن، وزيارتهن والمكوث عند بعضهن، والدعاء لهن ونصحهن، وتوجيههن لما فيه صلاحهن في الدنيا والآخرة.

فكانت أحواله ﷺ هذه مع المسلمات، خطوات هادفة ساهمت في زرع الثقة في نفوسهن، فكانت دفعًا قويًا لهن لتحصيل العلم الشرعي من منابعه الأصيلة بعد تشرب الإيمان بالله في صدورهن، وقد فاضت كتب التاريخ والسير والحديث بذكر أخباره ﷺ مع عامة النساء، مما يوحي بفائق العناية تجاههن مع إرادة تأهيلهن للأمانة التي عجزت السموات والأرض أن تحملنها، ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد من إزالة كم هائل من رواسب الجاهلية، وإعادة تشكيل نفسية وعقلية جديدة لا تخضع إلا لموازين الشرع[1].

---

(١) كان عمر يقول: «والله إنا كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم =

ولم يكن سهلاً على المرأة المسلمة أن تباشر حياتها الإسلامية بمتطلباتها الشرعية الجديدة لولا مراعاته ﷺ لأحوال النساء وتشجيعهن ومساندتهن في الإقبال على العلم والعمل، وتوفير جو الحصانة الأدبية وإشعارهن بالأهمية والفاعلية في حركة المجتمع، وعلى هذا الخط سار عليه الصلاة والسلام مع النساء.

فكان من عادته ﷺ زيارة بعض النساء الفاضلات يتفقد أحوالهن، وقد يقيل عند بعضهن، فتكون فرصة لتربية أخلاقية أو سلوكية، أو موعظة تحييها، أو دعاء تنال بركته، والمقام لا يتسع لسرد الروايات الواردة في هذا الصدد، ولكن يلزم علينا ذكر بعض النماذج لتوضيح عنايته ﷺ بالإعداد النفسي.

فهذه الصحابية أم حرام بنت ملحان[1] رضي الله عنها، تروي لنا قصتها مع النبي ﷺ حين زارها في بيتها وقال عندها، إذ سجل لنا التاريخ جلسة رائعة تبدي فيها أم حرام رضي الله عنها رغبتها في أن ينالها ما ينال المجاهدين من الأجر والرفعة، فلم يذكرها

= لهن ما قسم» انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى: ﴿تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم، قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ (التحريم:١-٢)، المكتبة السلفية، القاهرة- ط/٢، ١٤٠٠هـ، جزء ٣، ص ٢١٢.

(١) هي أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، من بني النجار، زوج عبادة بن الصامت أحد النقباء في البيعة، وهي أخت أم سليم، وخالة خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ذكر الطبعة ٤/٤٢٢.

بأنوثتها وضعفها، ولم ينكر عليها تطلعها ومشاركتها الرجال في الخير، بل قال لها: «أنتِ منهم»[1]، فكانت كلمة طيبة فتحت لها آفاقًا كبيرة، تحققت بها أمنيتها، فنالت الشهادة.

وممن كانت تلقى الرعاية النبوية الربيع بنت معوذ[2]، فقد زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها صلة لرحمها، وذلك بعد غزوة بدر.. وأثناء زيارته لها كان يرشد النساء إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة.

كما كان عليه الصلاة والسلام يزور أم ورقة[3]، ويسميها الشهيدة، وكانت قد أغرمت بالعبادة والصلاة، وشغفت بالقرآن شغفًا فجمعته، فأذن لها في اتخاذ مؤذن وإمامة أهل بيتها في الصلاة[4]، فكان هذا اعترافًا منه ﷺ باجتهادها، وتشجيعًا لمزيد من الحرص والتزكية.

---

(١) الحديث في البخاري، التعبير، رؤيا النهار، ٧٠٠١- ٧٠٠٢، ٣٠٠/٤، عن أنس، ومسلم في صحيحه، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط/١، ١٩٥٥م، تحقيق فؤاد عبد الباقي، انظر: كتاب الإمارة، فضل الغزو في البحر، ١٩١٢، ١٥١٨/٣، عن أنس.

(٢) ابن عقبة بن حرام بن جندب الأنصارية النجارية، من المبايعات تحت الشجرة، انظر: أسد الغابة ٤٥١/٥.
وزيارة النبي ﷺ رواها الترمذي في السنن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م، حديث ١٠٩٠ عن الربيع بنت معوذ.

(٣) بنت عبد الله بن عويمر بن نوفل الأنصارية مشهورة بكنيتها، انظر: الإصابة ٤٨١/٤، والاستيعاب ٤٨١/٤.

(٤) انظر: أبو داود، في سننه، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٢م، انظر: كتاب الصلاة، إمامة النساء، ٥٩١، ٩٧/١، عن أم ورقة.

وكان من ثمرة إعداده ﷺ للنساء وتربيتهن أن برزت نماذج من النساء النوابغ، سطرن لجميع المسلمات عبر العصور سبيل الفلاح في الدين والدنيا والآخرة.

فكانت المسلمة تسأل وتراجع وتستفسر وتجادل وتحرص على الاستكثار من التوضيح النبوي، وتسعى إلى فهم الحكم الشرعي لتكون واعية بالتزاماتها، فنالت بهذا العلم الوافر والفهم الثاقب ثم السلوك القويم بعد الإيمان الحق بالله تعالى.

فهذه خطيبة النساء أسماء بنت يزيد الأنصارية(١)، وما أدراك ما الأنصاريات «لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين»(٢)، فهذ الصحابية الجليلة التي انتخبتها النساء للتمثيل لدى رسول الله ﷺ ترفع (عريضة) باسمهن إليه، فأدت المهمة على أكمل وجه، وكانت خطيبة بليغة ألمت بالقضية المشتركة فأحسنت التمثيل والأداء، فأعجب عليه الصلاة والسلام بكلامها وأثنى عليها على ملأ من الصحابة، وأشهدهم على كفاءتها، وأجابها على مطلبها بأحسن جواب، رضيت به وطربت له.

---

(١) هي بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس الأنصارية، الأوسية ثم الأشهلية، وهي بنت عم معاذ بن جبل، وكانت من ذوات العقل والدين، وكان يقال لها خطيبة النساء، من المبايعات الأول، انظر: الإصابة، لابن حجر، ٣٢٩/٤، والاستيعاب ٢٣٣/٤.

(٢) القول لعائشة رضي الله عنها، ذكره البخاري معلقًا في صحيحه في كتاب العلم، الحياء في العلم، ٨٨/١.

فهذه الجرأة والشجاعة التي حظيت بها المرأة المسلمة مكسب عظيم حازته، فأحسنت استخدامه فيما ينفعها، تزكية وفلاحًا، وبلغت به مبلغًا عظيمًا.

وكثيرًا مثلاً ما تذكر قصة المرأة التي استدركت على عمر رضي الله عنه في المسجد في شأن المهور[١]، للاستشهاد على تسليم عمر رضي الله عنه للحق على ما عرف به من الحدة، لكن الذي ينبغي التنويه له في هذه القصة هو جرأة المرأة أمام عمر رضي الله عنه وثقتها النفسية، فموقفها أعجب من موقف عمر رضي الله عنه. ثم لا نستغرب بعد ذلك إذا أقدمت المرأة على الدين والدنيا بعقلية ونفسية واعية ناضجة مسؤولة، تتحسس مواطن الخير ليكون لها حظ منه، وتتبع مواطن الغموض بالاستفسار والسؤال لتنال الفقه والفهم، فكانت النساء في عهده ﷺ يطالبن بيوم خاص يعظهن فيه[٢]، وهذا من تمام الحرص على العلم والشجاعة في طلبه.

والجيل العظيم الذي واكب العصر النبوي قد تشكل حقًا بالتعاليم الربانية والتوجيهات النبوية، فسلم من السلبية والعجز والإحباط، فكان بحق الجيل النموذج واستحق الاتباع، وقد يعتقد أن

---

(١) القصة ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب، ٤/٣٢٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟، ١٠١- ١/٧٢، عن أبي سعيد الخدري.

اتباعنا لهم رضي الله عنهم جميعًا مقتصر على طريقة حياتهم وشكلها، لكن الأعظم من ذلك اكتساب إيمانهم وهممهم العالية وعمليتهم في الحياة، وأملهم وثقتهم الدائمين.

والمرأة المسلمة في أيامنا أكثر الناس حاجة إلى الدعم المعنوي والإعداد النفسي كي تسجل في قائمة العاملين، وتتخلص من عنصر السلبية والإهمال، وإذا لم تعرف مكنون نفسها من المؤهلات والملكات المودعة فيها، فلا أحد يقوم مقامها في ذلك، ولتستوحي ذلك من حياة من صاحبت خير الأنام رسول الله ﷺ.

٢- حضور النساء مجالس المسلمين وتجمعاتهم:

إن التكوين النفسي الذي حظيت به المرأة -على ما ذكرنا سابقًا- جعل منها طاقة متأججة، مهيأة الذهن والفؤاد لتلقي العلم والمعارف، فصرفت لها قنوات عديدة تسلكها، إذ مُكنت من المشاركة في مجالس المسلمين المختلفة وتجمعاتهم، فكانت في العصر النبوي كثيرة الشهود للشعائر الدينية، كحضورها الحرم وصلاة الجماعة والأعياد وأداء الحج، ولم تكن تُمنع من هذا، يقول الرسول ﷺ: «**لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد**»[1].

(١) اخرجه البخاري بالفاظ متقاربة. كتاب الصلاة. استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد. ٨٦٦. ١/٤٤٨. ومسلم واللفظ له. الصلاة. خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة. ١٤٠. ١/٣٢٨.

بل كانت المرأة تحضر للصلاة مع صبيها، فإذا بكى كان عليه الصلاة والسلام يخفف الصلاة[1]، مراعاة لأمه، وهذا من تمام رعايته ﷺ بالمرأة.

وكانت هذه المجالس فرصًا للتعليم والاستزادة من التوجيه النبوي، فأصبحت المرأة المسلمة بعد اعتبار التعليم رسالة لها، تنتهز أية فرصة توسع مداركها وتبصرها بأمور دينها، فتكون حاضرة في مجتمعها، مواكبة لشؤونه، بل فاعلة فيها.

ومما يدل على تردد المسلمة على بيوت الله، ما روته أم هشام بنت حارثة[2]، عن النبي ﷺ أنه كان يخطب بالقرآن الكريم، قائلة: «وما تعلمت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ (ق: ١)، إلا من كثرة ما كنت أسمعها منه يخطب بها على المنبر»[3].

وما غابت المرأة المسلمة عن المساجد ثم عن الحياة إلا في عصور الظلام والانحطاط التي مرت على الأمة الإسلامية

---

(١) أخرجه البخاري. الصلاة. الإيجاز في الصلاة وإكمالها. ٨٦١. ١/٤٤.

(٢) ابن النعمان الأنصارية. بايعت بيعة الرضوان. وأمها أم خالد بنت خالد. انظر الإصابة. ٤/٤٨٠.

(٣) أخرجه مسلم. الجمعة. تخفيف الصلاة والخطبة. ٨٧٢. ٨٧٣. ٢/٥٩٥. عن أم هشام وكانت أم سلمة رضي الله عنها تقول «كن إذا سلمن من المكتوبة قمن وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال...» البخاري. الصلاة. انتظار الناس قيام الإمام العالم. ٨٥٩. ١/٤٤٦. عن أم سلمة.

وما زالت، لما ضرب بنموذجية المجتمع الأول عرض الحائط، وحكمت الأهواء دون الشرع.

وكانت الأعياد ملتقيات عامة للمسلمين والمسلمات لا يتأخر عنها أحد، حتى الصبيان والعواتق وذوات الخدور والحيّض يشهدن الخير ودعوة المسلمين[1]، مشاركات في إبراز روح الجماعة وشرف التكتل الإيماني، وقبل هذا الاستفادة من التوجيه والهدي.

فالإسلام أراد للمرأة أن تكون حية حاضرة مصيبة لخير المسلمين، شاهدة لمواطن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستزيدة من ثقافتها الشرعية تجعلها سلاحًا لها.

أما الحج، فإضافة إلى كونه منسكًا دينيًا، كان مظهرًا من مظاهر الحياة العلمية الإسلامية، إذ كانت المرأة تسأل وتستفسر عما غاب عنها من أمور دينها وكيفية أداء مناسكها على أكمل وجه، كما تتلقى توجيهات النبي ﷺ وهديه وتحفظ عنه السنن في هذا التجمع وتؤديها امتثالاً لدعوته عليه الصلاة والسلام: «ليبلغ الشاهد الغائب»[2]، فتنال أجر التحمل والأداء، وتفوز بشرف

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب العيدين. خروج النساء والحيض إلى المصلى. ٩٦٧. ١/٥١. عن أم عطية الأنصارية.

(٢) أخرجه البخاري، العلم، ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ١٠٤-٥-١، ١/٧٤. عن أبي بكرة.

الحضور والصحبة.

ولم ينحصر حضور المرأة المسلمة في تأديتها للمناسك، بل لم تكن غائبة حتى عن الإنجازات والخطوات الأولى التي شكلت المجتمع المسلم الجديد، ومن ذلك مشاركتها في البيعة التي كانت في الحقيقة حجر الزاوية في هذا البناء، والتي على أساسها ووفق شروطها أخذت بيعة الرجال، ففي هذه المرحلة تبلورت معاني المسؤولية العامة، وأدمجت مسؤولية الدعوة[1]، فلزم لهذه المهمة أفراد أكثر نضجًا وأعمق فهمًا وأقوم التزامًا.. والوجود النسائي، واكب لقاءات البيعة المختلفة، ونسيبة بنت كعب (أم عمارة)[2]، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي (أم المنيع)[3]، أسماء لامعة.

(١) انظر: «المرأة في العهد النبوي» د. عصمت الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، ص٦٠.

(٢) هي: نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية، شهدت العقبة وأحدًا مع زوجها وشهدت بيعة الرضوان وقتال مسيلمة باليمامة، وجرحت يومئذ، انظر: الإصابة ٤/٤٥٧، والاستيعاب ٤/٤٥٥.

(٣) هي: أسماء بنت عمر شهدت العقبة وشهدت خيبر، وهي أم معاذ بن جبل، انظر: الإصابة ٤/٤٧٧.

الفصل الأول

دور المرأة في الحديث.. رواية

المبحث الأول : دور أمهات المؤمنين في خدمة الحديث

تمهيد :

كان لأمهات المؤمنين[1] -رضي الله عنهن- فضل عظيم في تبليغ الدين، ونشر السنة النبوية بين الناس، وخاصة بين النساء، فكانت حجراتهن -رضي الله عنهن- مدارس يقصدها طلاب العلم، فيجد السائل عندهن جوابه، والمستفتي فتواه، والشاك يقينه... ومن نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تعددت هذه المدارس بتعدد زوجاته ﷺ، حيث توفي عليه الصلاة والسلام عن تسع نسوة كلهن سمعن منه وشاهدن تفاصيل حياته المعيشية والعبادية على تفاوت بينهن في الحفظ والرواية.

ولقد كان لأمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- مكانة جليلة لدى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، كيف لا وقد امتدحهن الله

---

(١) توفي النبي ﷺ عن تسع من النساء، متفق عليهن لم يختلف فيهن اثنان، وهن سودة، عائشة، حفصة، أم سلمة، زينب بنت جحش، جويرية، أم حبيبة، صفية، وميمونة رضي الله عنهن جميعًا، ولم نذكر خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، وهو ظاهر في كونهما لم ترويا شيئًا. فخديجة رضي الله عنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح، انظر: الإصابة ٤/٢٧٦، وتوفيت زينب بنت خزيمة سنة أربع للهجرة، الإصابة: ٤/٣٠٩.

تعالى في محكم تنزيله، فقال عز وجل: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ...﴾ إلى قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٤).

كما كان الناس يستنكرون أن يسألهم أحد أو يستفتيهم في الأحوال الخاصة مع وجود أمهات المؤمنين[١]، واعتبر ذهاب إحداهن حدثًا جليلاً يبعث على الحزن، بل عده ابن عباس آية من آيات الله تعالى[٢].

دور أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في رواية الحديث:

الحديث عن عائشة[٣] رضي الله عنها يأخذ أبعادًا شتى، في فضلها أو سعة علمها أو فقهها أو أدبها.

▪ مناقبها رضي الله عنها:

مناقب عائشة رضي الله عنها كثيرة منثورة في كتب السنة، بفضلها ومكانتها، ولقد فتحت رضي الله عنها- عينيها في بيت قد نوّره الله بنور الإسلام، فكانت تقول: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان

---

(١) قال مروان: «كيف نسأل وفينا أزواج النبي ﷺ، فأرسل إلى أم سلمة رضي الله عنها في حديث: ترك الوضوء مما مست النار، رواه النسائي في كتاب الوليمة، باب ٣٥.

(٢) عن عكرمة قال: قيل لابن عباس بعد صلاة الصبح: ماتت فلانة لبعض أزواج النبي ﷺ فسجد، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم آية فاسجدوا»، فأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ! رواه الترمذي، كتاب المناقب.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣، ١٩٨٥م، ٢/١٣٥.

الدين»[1]. فنشأت في هذا البيت النقي، العظيم البركات تحت رعاية أبيها أبي بكر رضي الله عنه أحب رجل إلى رسول الله ﷺ[2]، وأول من ساند الدعوة الإسلامية، وأنفق من ماله ليشتد عود الإسلام.

ثم انتقلت رضي الله عنها إلى البيت النبوي وهي ما زالت صبية تلعب[3]، فاستقبلها سيد الخلق -عليه الصلاة والسلام- فأتم رعايتها وتوجيهها، فصلب عودها في بيت كان منزل الوحي، وكتب له أن يكون فيما بعد منارة من منارات العلم، وفوق هذا فقد أحبها عليه الصلاة والسلام حبًا شديدًا كان يعلن به، وكثيرًا ما كانت تفخر بهذه المزية وتعدها ضمن الخصال الكثيرة التي حباها الله تعالى بها دون سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا[4]، ولو لم يكن لها رضي الله عنها إلا هذه المنقبة لكفتها، فرسول الله ﷺ لا يحب إلا طيبًا.

وكانت مظاهر حب النبي لعائشة بينة في كلامه عليه الصلاة والسلام وحركاته وسكناته، وفرحه، وترحه، وكان يعتبر إيذاء عائشة

---

(١) انظر الجامع الصحيح للبخاري، كتاب المناقب، هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٣٩٠٥، ١٨/٣، عن عائشة.

(٢) سأل عمرو بن العاص النبي ﷺ: «أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة.. فمن الرجال؟ قال: أبوها»، أخرجه البخاري، المغازي، غزوة ذات السلاسل، ٤٣٥٨، عن عمرو.

(٣) قالت عائشة: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة وأنا ابنة ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع، جاءني نسوة وأنا ألعب على أرجوحة وأنا مجممة، وصنعنني ثم أتين بي إليه». رواه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، الأرجوحة، ١٤٣٥، وسنده صحيح، ومجممة: أي ذات جمة بالضم، وهي مجتمع شعر الرأس، وهي أكثر من الوفرة، وما سقط على المنكبين. انظر: لسان العرب، ١٠٧/٢.

(٤) كانت عائشة تقول: «فضلت عليكن بعشر ولا فخر..» فذكرت حب النبي ﷺ لها، ذكره الذهبي في السير ١٤٧/٢.

من إيذائه، معللاً أن الوحي ما نزل عليه وهو في لحاف امرأة من نسائه غير عائشة[١].

وقد كان ذكر عائشة ومحضرها دائماً محل بركة للجميع، فتعددت بذلك مناقبها وفضائلها، وقد جمع لها الزركشي في كتابه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) أربعين منقبة لها وحدها لم تشترك معها فيها امرأة من نساء النبي ﷺ.. وهذه الأفضلية، كان النبي ﷺ حريصًا على بيانها للناس، ليعرف الجميع قدر هذه المرأة الجليلة، حيث قال ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٢].. ويعلّق الإمام الذهبي على هذا الحديث بقوله: «وقرائن تدل على أن هذه الأفضلية كانت بأمر إلهي، وأن هذا من أسباب حبه عليه الصلاة والسلام الشديد لها»[٣]، وقد أدرك الناس مكانة عائشة عند النبي ﷺ فكانوا يتحرون بهداياهم يومها، تقربًا إلى مرضاته عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي أزعج بقية أمهات المؤمنين»[٤].

---

(١) البخاري، فضائل الصحابة، فضائل عائشة، ٣٧٧٥، ٣/٦٣، عن عائشة.

(٢) البخاري، فضائل الصحابة، فضل عائشة، ٢٤٦، ٤/١٨٩٥، عن أنس.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/١٣٧.

(٤) الحديث بطوله في البخاري، فضائل الصحابة، فضل عائشة، ٣٧٧٥، ٣/٦٣، عن عائشة.

فهذا الهدي النبوي الذي رسمه الرسول ﷺ في حق أم المؤمنين عائشة ينبغي أن نقتفي أثره، إيمانًا وتدينًا، وأداءً لدين ورثناه من نبي الإسلام، وخلاف ذلك كما يصنع بعض الفرق المنحرفة الضالة -ليس هذا محل ذكره- فيه ارتجاج لأركان الدين، إذ على أكتاف هؤلاء الصحب الكرام وجهودهم -وحظ عائشة من هذا كبير- وصلتنا رسالة الإسلام كاملة غير منقوصة، والعدوان على هذا الحق يبين خطورته عمار بن ياسر وهو يرد على رجل نال من عائشة بقوله: «اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ»[1].

■ سعة علمها رضي الله عنها:

إن من المنح الإلهية لعائشة أن وهبها الله تعالى ذكاءً وذاكرة قوية وحفظًا سريعًا، فقد نشأت في بيت أبي بكر وعاشت في بيت النبوة، ونهلت من المعين النبوي الصافي، وعرفت بالتطلع الواسع إلى الاستفادة من العلم والفهم، فكانت كثيرة السؤال والاستفسار، شديدة التمحيص والتنقيب، وقد شهد لها بذلك الأكابر، فعن ابن أبي مليكة: «إن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، في المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم ٣٨٨٨، ٥/٧٠٧، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) البخاري، العلم، من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه، ١٠٣، ١/٥٤، عن ابن أبي مليكة.

■ علمها بالقرآن:

لقد كانت رضي الله عنها -وهي صبية تلعب- تسمع الآية من القرآن فتحفظها وتضبط مكان نزولها ووقت النزول، حيث تقول: «لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر:٤٦)، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[١].

ثم بعد أن انتقلت إلى البيت النبوي حضرت الكثير من نزول القرآن، وإن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ في لحافها، لذلك وصفت أحواله عليه الصلاة والسلام حين نزول الوحي عليه[٢]، الأمر الذي جعلها تلتقط الآية من فم النبي ﷺ فتحفظها وتعي الأحكام والمقاصد[٣]، فجمعت إلى حفظ القرآن معرفة معانيه وتفسيره، فأصبحت من كبار المفسرين للقرآن الكريم، وساعدها على ذلك معرفتها باللغة العربية وأشعارها وآدابها[٤]، «وكان لها مصحف خاص، به جمعت القرآن إلى تفسيره، ولذا كان بحجم المصحف ثلاث مرات»[٥].

---

(١) البخاري، التفسير، تفسير ﴿بل الساعة موعدهم﴾ ٤٨٧٦، ٣/٢٠١، عن عائشة.

(٢) البخاري، بدء الوحي، ٣٠٢، ١/١٣، ١٤، عن عائشة.

(٣) كانت عائشة تقول: «إن الآية تنزل علينا في عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها...» انظر أعلام النساء، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت،دون ذكر الطبعة، ٣/١٠٦.

(٤) كانت عائشة تقول: «رويت للبيد ألف بيت»، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/١٤٠.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة ١/٩٦.

■ **علمها بالحديث رضي الله عنها:**

لقد كانت من كبار المحدثين وحفاظ السنة، وقد امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من النبي ﷺ، لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه غيرها لمكانتها عنده[1].

ولذلك يرجع الفضل إليها في نقل السنة النبوية ونشرها بين الناس، والتي لو لم تنقلها لضاع قسم كبير منها، خاصة في الأمور التي تتعلق بتصرفات النبي ﷺ في بيته ومع أهله.

وكان حفظها لحديث رسول الله ﷺ وإتقانه مرجعاً للصحابة فيما اختلفوا فيه من الأحاديث للتحقيق من سماعها له من فم النبي ﷺ فيجدون عندها الجواب الشافي الذي يحسم الخلاف ويرد الشك[2]. فهذا أبو هريرة يحدث بحديث سمعه ابن عمر فينكره عليه فيذهب به إلى عائشة، الحديث[3]، وكان أبو هريرة من عادته الجلوس إلى حجرة عائشة يسمعها ما يحدث به الناس، ثم يقول: «يا صاحبة الحجرة أتنكرين مما أقول شيئًا؟»[4].

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، بدر الدين الزركشي، المكتب الإسلامي، ط/٤، ١٩٨٥م، ص٣٣.

(٢) وقد حظيت استدراكاتها على الصحابة باهتمام العلماء، وصنفوا في ذلك كما فعل الزركشي في الإجابة، وأبو منصور عبد المحسن بن محمد البغدادي (٤١١-٤٨٩هـ)، وغيرهم.

(٣) وحديث أبي هريرة هو: «من تبع جنازة فله قيراط من الأجر»، انظر: البخاري، الجنائز، فضل اتباع الجنائز، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١/٤٠٧.

(٤) مسلم، من فضائل أبي هريرة، ٢٤٩٣، ٤/١٩٤، عن عائشة.

وكان من شك في رواية أتىٰ عائشة سائلاً، ومن كان بعيداً كتب إليها يسألها، ومن هنا طار لها ذلك الصيت في التمكن من العلم، ورجع إلى قولها كبار الصحابة، و«صار معاوية في خلافته يكتب إليها سائلاً عن حكم، أو حديث، أو شيء من فعل النبي ﷺ، ولا يطمئن إلى يقين مما يسمع من غيرها، حتى يرد عليه جوابها فيبرد صدره»[١].

■ فقهها رضي الله عنها:

إن عائشة رضي الله عنها كانت فقيهة جداً حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها[٢]، بل إن الإمام الزهري قد جزم أن عائشة أفقه نساء الأمة على الإطلاق[٣]، كما عد ابن حزم العلماء الذين حفظت عنهمْ الفتوى من الصحابة مائة ونيفًا وثلاثين نفسًا، بين رجل وامرأة، والمكثرون منهم سبعة من بينهم عائشة، ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[٤].

وأقوال العلماء المشهود لهم بالفضل والعلم في مكانة عائشة العلمية، تعكس الإجماع المنعقد في الأمة على إمامة عائشة فيما ورثته من العلم النبوي، فقد كانت من القلة القليلة التي حظيت بهذا المركز

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، دون ذكر الطبعة، ٨٧/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٧م، ١٧/٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣٥/٢.

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، مكتبة الآداب لعلي حسن، القاهرة، دون ذكر الطبعة، ص٣٠٥، وكذا جوامع السيرة، لابن حزم، طبعة كراتشي، دون ذكر الطبعة، ص١٣٤.

المرموق، وكانت تأتيها مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ يسألونها عن عويص العلم ومشكله، فتجيبهم جوابًا مشبعًا بروح التروي والتحقيق، مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في العلم مقامًا عليًا، وقد شهد لها بهذا الصحابي أبو موسى الأشعري إذ قال: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علم»[(١)].

وكانت بعد وفاة النبي ﷺ قد استقلت بالفتوى مدة خلافة أبي بكر وعمر إلى أن توفيت[(٢)].

■ علمها بالطب والشعر وأخبار العرب:

وكما كانت عائشة مرجعًا مهمًا في الشؤون الفقهية والتشريعية وكبيرة محدثات عصرها، بل كافة العصور، كانت أيضًا من أبرع الناس في الطب والشعر وأحاديث العرب وأخبارهم وأنسابهم، فهذا ابن أختها عروة بن الزبير، يصف عائشة خبيرة في هذه الفنون فيقول: «لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية نزلت، ولا بفريضة، ولا سنة، ولا بشعر ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب ولا بكذا ولا كذا، ولا بقضاء ولا طب منها، فقلت لها: يا خالة! الطب من أين تعلمتيه؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، أو يمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت

---

(١) أخرجه الترمذي، المناقب، فضل عائشة، ٣٩٨٢، وقال حسن صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/١٤٥.

بعضهم لبعض فأحفظه»[1]، فلم يعجب عروة من علم عائشة بأنساب العرب وأيامهم، فإنها ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس في هذا الفن، كما أنه لم يعجب من فقهها وعلمها وأدبها، فهي زوجة نبي -و«ما ظنكم بأدب النبوة» كما يقول الشعبي[2]- فلا عجب بعد ذلك كله أن تكون عائشة أفقه النساء، لذلك شاع علمها وانتشر فضلها في الأقاليم، وفاقت غيرها في الفرائض والسنن والفقه.

كما امتازت بفصاحة اللسان، وبلاغة المقال، إذا خطبت ملكت على الناس مسامعهم، وإذا تكلمت أخذت بمجامع قلوبهم، فعن الأحنف ابن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والخلفاء هلم جرّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن من فِي عائشة[3].

كما كان لأم المؤمنين دورها في حياة المسلمين في مختلف مجالات الحياة، ولم تكن بمنأى عن الأحداث التي مرت بالمسلمين خلال حياتها التي اقتربت من السبعين إلا قليلاً. وكانت لها مواقف مشهورة، وآثار معروفة في الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بالمسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان، وقد سجلت كتب التاريخ كثيراً من

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/١٨٤، وقال فيه المحقق رجاله ثقات.

(٢) انظر أنساب الأشراف للبلاذري، دار المعارف، مصر، دون ذكر الطبعة، ص٤١٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، طبعة مزيدة ومنقحة، ٤/١١.

الأحداث التي تركت فيها أم المؤمنين لمسات بارزة تشير إلى صورة العصر آنذاك، فما ظننا بعالمة ربانية، وفقيهة موسوعية، وأديبة أخذت من كل علم بطرف، إلا أن تكون منارة يهتدى بها وقد كان[1].

■ **تلاميذها رضي الله عنها:**

روى عن عائشة خلق كثير من طبقات مختلفة، وقد قضت حياتها التي قاربت السبعين، تروي حديث رسول الله ﷺ وتفتي في الدين، إذ من نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة تسع وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، فكانت من آخر أمهات المؤمنين وفاة رضي الله عنهن جميعًا، وقد استفاد الناس من ذلك كثيرًا، فتيسر لكبار الصحابة وصغارهم، وكبار التابعين وصغارهم، أن يسمعوا منها ويغرفوا من وعائها.

والذين رووا عنها -كما ذكرنا طبقات:

أ- **فمن الصحابة**: أبوها أبو بكر، عمر بن الخطاب، عبد الله ابن عمر، أبو هريرة، أبو موسى الأشعري، عبد الله بن عباس، ربيعة ابن عمرو الجرشي، السائب بن يزيد، عمرو بن العاص، زيد بن خالد الجهني، عبد الله بن عامر بن ربيعة، عبد الله بن الحارث بن نوفل، صفية بنت شيبة، وغيرهم.

---

(١) لمزيد من التفصيل في دور عائشة السياسي، انظر: أعلام النساء، عمر كحالة، ٣/ ٢٠.

ب- **من آل بيتها :** عروة بن الزبير ابن أختها أسماء، القاسم ابن محمد بن أبي بكر ابن أخيها، أختها أم كلثوم، أخوها من الرضاعة عوف بن الحارث، بنتا أخيها عبد الرحمن حفصة وأسماء، ابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير، حفيدا أسماء عباد وحبيب ولدا عبد الله ابن الزبير، بنت أختها أم كلثوم عائشة بنت طلحة .... وغيرهم.

جـ- **ومن مواليها :** أبو عمرو، ذكوان[1]، أبو يونس، فروخ.

د- **ومن التابعين:** مسروق بن الأجدع، الأسود بن يزيد النخعي، سعيد بن المسيب، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، الشعبي، مجاهد، عطاء، عكرمة، عمرة بنت عبد الرحمن، نافع مولى ابن عمر، معاذة العدوية، خيرة أم الحسن البصري، صفية بنت أبي عبيد، علقمة ابن قيس، ابن أبي مليكة، سليمان بن يسار، وغيرهم خلق كثير جداً.

ولو تتبعنا الكتب التي صنفت في الطبقات في ترجمتها لاستطعنا أن نضم إلى هؤلاء العشرات، وليس بكثير على من عمرت نحو خمسين عامًا تروي سنة رسول الله ﷺ وتنشر أحكام الشريعة المطهرة حتى أخذ عنها الرجل وابنه وحفيده وابن حفيده.

■ مروياتها رضي الله عنها :

روت أم المؤمنين عائشة عن النبي ﷺ الكثير الطيب، وحديثها منثور

---

(١) يرى ابن حجر أن: ذكوان هو أبو عمرو، انظر: تهذيب التهذيب، ١٢/١٨٤.

في كتب السنة[1]، ولها فضل كبير في نقل السنة الفعلية وتعليمها الناس، كما تعتبر حجرتها الشريفة المدرسة الأولى في الدنيا التي يؤخذ منها الحديث الشريف، لأنها قامت بإبلاغ أمانة الدين والعلم.

- مرتبة أم المؤمنين بين المكثرين في الرواية:

نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم جميعًا يتفاوتون في رواية الحديث النبوي قلة وكثرة، فبينما نجد أحدهم روى عن رسول الله ﷺ الآلاف من الأحاديث، نجد الآخر وقد روى حديثًا واحدًا، أو لم يرو شيئًا، وهذا التفاوت راجع إلى أسباب عدة منها[2]:

- تفاوت درجات الحفظ عند الصحابة.
- تفاوتهم في مقدار ملازمتهم للنبي ﷺ.
- تحفظ بعضهم من إكثار الرواية، عن رسول الله ﷺ.
- انصراف بعضهم إلى العبادة، أكثر من انصرافهم إلى التعلم، وانشغال بعضهم بأمور معاشهم، والجهاد والإمارة والفتوح.
- قصر أعمار بعضهم بعد انتقال النبي ﷺ، وطول أعمار بعضهم وتوليهم مقاليد الرياسة في العلم والرواية لاحتياج الناس إلى علمهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/١٣٥.

(٢) انظر: الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٩٨٤م، ص١٤٧-١٤٨.

ولا يعد الراوي مكثراً إلا إذا روى ألف حديث وأكثر[1]، لهذا لم يعد ابن مسعود من المكثرين لأن مروياته لم تبلغ الألف[2]، أما الذين بلغت مروياتهم عن رسول الله ﷺ أكثر من ألف فسبعة من أجلة الصحابة، نظمهم بعضهم في:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس،
صدّيقة، وابن عباس، كذا ابن عمر

نورد هنا عدد مرويات كل واحد مرتبين حسب الكثرة[3]:

١- أبو هريرة: روي له عن النبي ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً (٥٣٧٤).

٢- عبد الله بن عمر: ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً (٢٦٣٠).

---

(١) الباعث الحثيث شرح (اختصار علوم الحديث لابن كثير) أحمد شاكر. مكتبة دار الفيحاء. دمشق. ط/١، ص١٧٦. وفتح المغيث (شرح ألفية الحديث للعراقي) السخاوي. دار الكتب العلمية. بيروت. دون ذكر الطبعة. ١٠٧/٣.

(٢) بلغت مروياته حسب بقي بن مخلد ٨٤٨حديثا. ولكن في دراسة قدمت في جامعة أم القرى. توصل الباحث فيها إلى أن مرويات ابن مسعود تزيد على العدد الذي ذكره بقي. حيث جمع له من الأحاديث الصحاح ١١٢٧حديثا. ومن الأحاديث الحسان ٢٣. انظر خاتمة مرويات ابن مسعود في الكتب الستة ومسند أحمد. د. الشريف منصور بن عون العبدلي. دار الشروق. جدة. ط/١ ١٩٨٥، ص١٦١.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر. ابن الجوزي. ص٣٦٣. جوامع السيرة. لابن حزم. ص٢٧٥. ٢٧٦. وقال أحمد بن حنبل هم ستة لم يذكر فيهم أبو سعيد الخدري. انظر الباعث الحثيث. ص٨٥.

٣- أنس بن مالك : ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا (٢٢٨٦) .

٤- عائشة : ألفان ومائتان وعشرة أحاديث (٢٢١٠) .

٥- عبد الله بن عباس : ألف وستمائة وستون حديثًا (١٦٦٠) .

٦- جابر بن عبد الله : ألف وخمسمائة وأربعون حديثًا (١٥٤٠) .

٧- أبو سعيد الخدري : ألف ومائة وسبعون حديثًا (١١٧٠) .

فإذا كانت عائشة رضي الله عنها تروي (٢٢١٠)[١] حديثًا، فهي تحتل الدرجة الرابعة باعتبار كثرة الرواية عامة[٢]، أما باعتبار الكثرة في الكتب الستة فتحتل الدرجة الثانية بعد أبي هريرة مباشرة، إذ له في الكتب الستة ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعون حديثًا (٣٣٧٠)، وروي لعائشة في الكتب الستة، ألفا حديث وواحد وثمانون حديثًا (٢٠٨١)[٣].

- واتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا (١٧٤) .
- انفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا (٥٤) .
- انفرد مسلم بتسعة وستين حديثًا (٦٩)[٤] .

---

(١) ذكر لها هذا العدد ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٥. الذهبي في السير ١٣٩/٢. الزركشي في الإجابة ٣٣. والسيوطي، تدريب الراوي، ٢١٧/٢.

(٢) وقول أحمد شاكر في الباعث الحثيث «أكثر الصحابة رواية للحديث أبو هريرة ثم عائشة ثم ....» غير دقيق، والصحيح الترتيب الذي ذكره ابن حزم في جوامع السيرة، ص٢٧٥. أي الدرجة الرابعة.

(٣) اعتمدت في هذا العدد على ترقيم تحفة الأشراف، للمزي من مسند عائشة، ٣٤٨/١١ ١٢/٤٤٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣٩/٢. كذا الإجابة، الزركشي، ٣٣.

وبهذا يصبح مجموع حديثها عند الشيخين مجتمعًا ومنفردًا (٢٩٧) مائتين وسبعة وتسعين[١].

- محتوى مرويات عائشة رضي الله عنها بالمكرَّر:

بعد أن عرفنا مرويات عائشة رضي الله عنها، عددها ومرتبتها من حيث الكثرة، نرى أنه من المهم الاطلاع على موضوعات هذا الكم من المرويات، وتوزعها على الكتب والأبواب في كتب الحديث، وهنا لا ندعي الحصر والتتبع، ولكن الغرض منه هو إعطاء نظرة موجزة وغير مخلة عن محتوى هذه الروايات، إذ هي المعيار الذي من خلاله ينظر إلى روايات النساء، وحول أي المواضيع تركزت.

والمتفحص لكتب الحديث كالسنن والجوامع، كالكتب الستة مثلاً، والملقي نظرة على مختلف الكتب والأبواب فيها، لا شك يلفت نظره تردد اسم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كراوية عن النبي ﷺ خاصة في أبواب الأحكام بمختلف فروعها، الأمر الذي أكده صاحب «ما لا يسع المحدث جهله» إذ قال: «اشتمل كتابي البخاري ومسلم مثلاً، على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام، وروت عائشة من جملة هذه الأحاديث مائتين ونيفًا وتسعين حديثًا لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسيرًا»[٢].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تلقيح الفهوم، ص٤٠٢.
(٢) الإجابة، الزركشي، ص٥٢.

وهذا الحكم لا ينطبق على كتابي البخاري ومسلم فقط، إنما هو صحيح في جميع مرويات عائشة في مختلف كتب السنة على العموم.

فمروياتها طرقت معظم أبواب الأحكام إلا قليلاً منها، وإن غلب على مروياتها طابع الأفعال على الأقوال، ولا سيما ما يتعلق بأعمال رسول اللهﷺ البيتية والمعيشية. كما تميزت عائشة في مروياتها بنقل أحكام النساء الخاصة بهن، ولم يضارعها في ذلك أحد.

وإذا فصلنا أكثر قلنا: إن مروياتها تناولت أحاديث تتعلق بأبواب الإيمان والوحي والعلم والقراءة والتفسير، كما احتوت على أحاديث تتعلق بآداب قضاء الحاجة، وبالوضوء والغسل في يوم الجمعة، وفي الجنابة، وهي كثيرة، وبمسائل في الحيض والاستحاضة، وما يتعلق بجواز مباشرة الرجل الحائض، وقد برعت وفاقت غيرها في هذا المجال.

وكذا أحاديث في التيمم، تتعلق بسبب نزول آية التيمم -وهي صاحبة القصة- وكذا حوت مروياتها روايات كثيرة جداً في أبواب الصلاة تتعلق بالأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وبكيفية فرضية الصلوات، وأحاديث في الآذان، وما كان لرسول اللهﷺ من المؤذنين، وأحاديث تتعلق بأحكام الصلاة، وما ورد من الأذكار والأدعية خلالها وفي دبرها، وبالإمامة وفضل الجماعة، وأحاديث في المساجد وآدابها وفضلها، وحضور النساء المساجد، وأحاديث بخصوص صلاة العيدين

والخوف والكسوف، وما يتعلق بالسنن الراتبة والنوافل وقيام الليل، وصلاة التراويح وما ورد في الوتر، وصلاة الجنازة وما يتعلق بها من ثياب الكفن، وأحاديث في إثبات عذاب القبر والتحذير من اتخاذ القبور مساجد، وغير ذلك مما يتعلق بالقبور وأهلها.

كما تناولت مروياتها أحاديث كثيرة في الصدقة وأجرها، وإنفاق المرأة من مال زوجها بغير إذنه، وكذا اشتملت على أحاديث كثيرة في الصوم تتعلق بمسائل شتى في تحري هلال شعبان لمعرفة هلال رمضان وفي السحور، وفي الصائم الذي يصبح وهو جنب، وتقبيل الصائم، وأحاديث في صيام التطوع وأخرى في الاعتكاف، وفي تحري ليلة القدر، وفي قضاء الصيام، وفي النهي عن صوم الوصال، وأيضاً روايات كثيرة جداً في الحج تتعلق بالتلبية وأنواع الحج الثلاثة، واستعمال الطيب قبل الدخول في الإحرام وقبل طواف الإفاضة وبعد التحلل الأصغر، وبفتل القلائد للهدي، وبعدد عمر النبي ﷺ، وعمرة عائشة نفسها من التنعيم ونزول المحصب، وما يتعلق ببناء الكعبة وفضلها. وكذا روايات في الأضاحي وفي الذبائح وبعض ما يتعلق بهما نحو العقيقة، كما أن لها مرويات في البيوع وما يتعلق بها، وفي العتق والمكاتبة. وتشتمل على أحاديث في باب اللباس والأطعمة والأشربة، والطب فيما يتعلق بعلاج المريض والدواء وبالرقية والدعاء، وبأحاديث في النذور والشهادات، وأيضاً على أحاديث تتعلق بالجهاد والمغازي والإمارة.

كما تتضمن مروياتها مجموعة من الأحاديث تدور حول النكاح وحسن المعاشرة بين الزوجين، والطلاق وما يتعلق به، وعلى روايات في أبواب الحدود، وأبواب المناقب والسير، وعلى جملة كبيرة من الأحاديث في الآداب المعيشية وحسن المعاشرة وفي البر والصلة، ولعل هذا الجانب من الجوانب البارزة في مروياتها، كما روت أحاديث في الزهد والرقاق وأحاديث في الفتن، وأشراط الساعة، والقدر والخلقة، وما يتعلق بالقيامة، وأحاديث في الاستغفار والدعاء والتوبة، وأحاديث في الفرائض.

وقد عمدنا إلى هذا العرض لتتجلى لنا فائدة التنوع الذي اتسمت به مرويات عائشة رضي الله عنها، خاصة في مجال الأحكام وفائدته في حياة الناس، فهي أساساً مرويات تنقل لنا الفعل لبيان السنة بغية الاقتداء.. وإضافة إلى تميز مروياتها بالعملية، فهي أيضاً روايات دقيقة تنقل لنا أدق التفاصيل عن حياة النبي ﷺ وأفعاله المعيشية والعبادية.

مكثرو الرواية عن عائشة:

نبغ كثير من تلاميذ عائشة وأصبحوا بدورهم مثابة لطلاب العلم ورُحْلة يضرب الناس إليهم أكباد الإبل ابتغاء ما ورثوه من علم عائشة وفقهها وأدبها وسائر الفنون التي برعت فيها، إذ كان لعلمها ثقله وأهميته، ولمن حازه سبيلاً للثناء الحسن والفخار والإمامة في الدين، يدل عليه طالب العلم المجتهد الحريص على التحصيل، ويوصى بملازمته وشد الرحال إليه.. فتلاميذها أوعية حافظة لعلمها، نذكر هنا

ستة هم أكثر الرواة المكثرين عنها رضي الله عنها:

١- **عروة بن الزبير**[1]: بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه، مشهور من الثانية مات سنة ٩٤هـ، على الصحيح، مولده في أوائل خلافة عمر الفاروق، وهو أكثر الناس رواية عن خالته عائشة، حتى روى عنها وحده (١٠٥٠) حديثًا من مجموع أحاديثها البالغ عددها (١٩٩٩)، وهو نصف مسندها[2].

قال عنه الزهري: «كان عروة بحرًا لا ينزف ولا تكدره الدلاء»[3]، وقد كان شديد الملازمة لخالته عائشة، كثير السؤال، مما كان يثير غبطة طلاب العلم من كثرة دخوله عليها فأصبح مرجعًا لعلمها.

٢- **القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق**[4] التيمي أبو عبد الرحمن: ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، ومن كبار الثالثة، مات سنة (١٠٦هـ) على الصحيح، قتل أبوه محمد سنة (٣٨هـ) في مصر لما قدم أميرًا عليها من قبل علي بن أبي طالب، فبقي القاسم يتيمًا في

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤/٤٢١-٤٣٧، طبقات ابن سعد، ٥/١٧٨.

(٢) الأعداد الواردة مأخوذة من الترقيم الذي ذكر في تحفة الأشراف للحافظ المزي، والعدد المذكور لا يمثل كل مروياتها لكنها مقادير تقريبية، مع أن الفرق ليس كبيرًا جدًا، إذ هو فقط ٢١١حديثًا.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/٤٢٨.

(٤) له ترجمة في السير، ٥/٥٣، ٦٠.

حجر عمته عائشة رضي الله عنها .

وكان يلازمـــها مع ما عرف به من النـباهة، وهو حـديث السن مما يسر له استيعاب ما تسمعه آذانه وإدراك ما يحفظه من حديث رسول الله ﷺ ، أو فتاوى من عائشة وغيرها، وله (١٣٧) حديثًا يرويها عنها في الكتب الستة فقط .

٣- **الأسود بن يزيد النخعي**[١] : الكوفي أبو عمرو، الثقة، العابد، من الثانية .

وقد روى الأسود عن عائشة (١١٧) حديثًا في الكتب الستة فقط .

٤- **عمرة بنت عبد الرحمن**[٢] : بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية، وكانت في حجر عائشة، قال ابن معين: ثقة حجة، وقال العجلي: مدنية تابعية ثقة، وذكر ابن المدني عمرة ففخم أمرها وقال: « عمرة أحد الثقات الأثبات فيها »، وقال ابن حبان: « كانت من أعلم الناس بحديث عائشة »، وقال ابن سعد: « كانت عالمة » . . وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة . . كما شهد لها الزهري بقوله: « فأتيتها -أي عمرة- فوجدتها بحرًا لا ينزف » . ولها (٧٢) حديثًا ترويها عن عائشة في الكتب الستة .

---

(١) له ترجمة في: سير أعلام النبلاء، ٤/٥٠، ٥٣، طبقات ابن سعد، ٦/٧٠، وتذكرة الحفاظ، الذهبي.

(٢) لها ترجمة في سير أعلام النبلاء، ٤/٥٠٧-٥٠٨، طبقات ابن سعد ٨/٤٨٤، وتهذيب الكمال.

أصح الأسانيد عن عائشة:

من ذلك :

١- هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة[١].

٢- يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمرو بن حفص العمري عن القاسم عن عائشة، قال ابن معين: ترجمة مشبكة الذهب[٢].

٣- عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة: قال ابن معين: «ليس إسناد أثبت من هذا»[٣].

٤- أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة[٤].

٥- الزهري عن عروة عن عائشة[٥].

فمن خلال هذا العرض، الذي يعتبر موجزاً جداً في حق أكبر المحدثات عبر العصور، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ندرك الجهود الجبارة التي قدمتها هذه العالمة للأمة الإسلامية، ولم يكن لها هذا

(١) شرح الباعث الحثيث، أحمد شاكر، ١١.

(٢) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٩٧٧م، ص٥٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، تحقيق أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ١٩٨٦م، والنكت لابن حجر، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، المدينة ط/١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، ط/١٩٨٣م،٢/٢٢٩.

(٥) طرح التثريب شرح التقريب، زين الدين العراقي، دار المعارف، حلب، سوريا، دون ذكر الطبعة،١/٢٢.

الصيت إلا بالميزات والخصائص الثمينة التي حباها الله تعالى بها، وبالعلم النفيس الذي نقلته للأمة، إضافة إلى بصماتها الخالدة في كافة ميادين الحياة.. لقد كانت وما زالت -رضي الله عنها- قدوة النساء والرجال في العلم والفقه والزهد وسائر أعمال المعروف.

دور أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في رواية الحديث:

■ ترجمتها وفضلها:

وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية[1]، أبوها أحد أبناء قريش المعدودين وأجوادهم المشهورين، قد ذهب في الدهر بلقب «زاد الراكب»[2].

كانت قبل النبي ﷺ عند أبي سلمة، عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، الصحابي ذو الهجرتين، ابن عمة المصطفى ﷺ (برة بنت عبد المطلب) وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب.

كان لأبي سلمة ولزوجه هند إلى جانب هذا النسب العريق، ماض مجيد في الإسلام، فقد كانا من بين السابقين الأولين، وهاجرا مع

---

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة التراث الإسلامي، دون ذكر الطبعة، ص٨٦، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤٠٧/٤ فما بعد.

(٢) زاد الراكب: أنه كان إذا سافر، فخرج معه الناس، فلم يتخذوا زاداً معه ولم يوقدوا، يكفيهم ويغنيهم، انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «زود»، ١٩٨/٣.

العشرة الأولين إلى الحبشة، حيث ولد ابنهما (سلمة).

ثم هاجرا إلى المدينة بعد قدومهما مكة بعد بيعة العقبة، فكانت قصة خروجهما مأساة عنيفة الإثارة أليمة الوقع، وأم سلمة هي التي تروي هذه المأساة لتبقى صفحة خالدة على جهادها وسبقها[1]، فكانت أم سلمة رضي الله عنها بهذا أول ظعينة دخلت المدينة، وفي المدينة عكفت رضي الله عنها على تربية صغارها، وعكف زوجها على الجهاد، فشهد بدراً وأحداً وأبلى فيها بلاءاً مشهوداً، ورمي بسهم في عضده، ثم انتكأ هذا الجرح فظل به حتى مات سنة أربع للهجرة (٤هـ)، وكان من دعاء أبي سلمة: «اللهم اخلفني في أهلي بخير»، فأخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة، فصارت أمًا للمؤمنين، وعلى بنيه: سلمة، وعمر، وزينب، فصاروا ربائب في حجره المبارك ﷺ، وذلك سنة أربع للهجرة (٤هـ).

وكانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، لم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى الله تعالى سنة (٦٢هـ)، وكانت قد عاشت نحواً من تسعين سنة[2].

كانت رضي الله عنها، توصف بالعقل والدين، وكان رسول الله ﷺ

(١) انظر: السمط الثمين، ٨٧، والسيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل، ٢/٨٠-٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/٢٠٩.

يقدر رأيها ويأخذ به أحيانًا[1].

كما كانت تعد من فقهاء الصحابة ممن كان يفتي، إذ عدها ابن حزم ضمن الدرجة الثانية، أي متوسطي الفتوى بين الصحابة رضوان الله عليهم، حيث قال: «المتوسطون فيما روي عنهم من الفتوى: عثمان، أبو هريرة، عبد الله بن عمرو، أنس، أم سلمة...» إلى أن عدهم ثلاثة عشر، ثم قال: «ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير»[2].

■ **مروياتها رضي الله عنها وتلاميذها:**

روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها الكثير الطيب، إذ تعد ثاني راوية للحديث بعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ لها جملة أحاديث قدرت حسب كتاب بقي بن مخلد ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا (٣٧٨).

اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر[3].

ومجموع مروياتها حسب ما ورد في تحفة الأشراف مائة وثمانية وخمسون حديثًا (١٥٨)[4].

---

(١) مثلما أشارت على النبي ﷺ أن يخرج يوم الحديبية دون أن يكلم أحدًا حتى ينحر ويحلق شعره، وذلك حينما أمر الناس أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا. البخاري، كتاب الشروط، ٢/٢٧٩.

(٢) جوامع السيرة، ابن حزم، ١٢٤، تلقيح فهوم أهل الأثر، ابن الجوزي، ٣٠٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢/١٠١.

(٤) تحفة الأشراف، المزي، ١٣، موزعة في هذا المجلد من ص ٣-٨٢.

محتوى مروياتها رضي الله عنها:

كان وجود أم المؤمنين أم سلمة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما خاصة بين الصحابة، وتأخر وفاتهما بعد النبي ﷺ من العوامل المهمة التي جعلت الناس يقصدونهما خاصة للسؤال والفتيا، وبعد وفاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنة (٥٨هـ)، تربعت أم سلمة رضي الله عنها على سدة الرواية والفتيا لكونها آخر من تبقى من أمهات المؤمنين، الأمر الذي جعل مروياتها كثيرة، إذ جمعت بين الأحكام والتفسير والآداب والأدعية، والفتن.... إلخ.. ويجدر هنا أن نذكر بقليل من التفصيل الموضوعات التي تطرقت لها مروياتها.

كما هو الشأن بالنسبة لمرويات عائشة، فإن مرويات أم سلمة أيضًا معظمها في الأحكام وما اختص بالعبادات أساسًا.

ففي أبواب الطهارة، روت في غسل الجنابة واغتسال الرجل مع زوجه، وكيفية اغتسال النساء، وفي دخول الحائض والجنب المسجد، والنوم مع الحائض في لحاف واحد، والاستحاضة، وفي ذيول النساء وما يطهرها .... وغيرها.

وفي أبواب الصلاة وما تعلق بها من أحكام، روت في الركعتين بعد العصر، وهي صاحبة هذه الرواية، وقد أخذتها عنها عائشة وغيرها، كما روت في قراءة النبي ﷺ وكيفية صلاته، ووتره ونوافله، وروت في الدعاء دبر الصلاة، كما روت في عدم قضاء الحائض

الصلاة، وصلاة النبيﷺ جالسًا، والمرأة تصلي في درع وخمار ليس لها إزار إذا لم تظهر قدماها، وفي القنوت....

وفي الزكاة، روت في الإنفاق على الأولاد والزوج، وفي فضل الصدقة، وفي زكاة الحلي.

وفي أبواب الصوم، روت في الجنب يدركه الفجر، وفي القبلة للصائم، وفي فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وفي الصوم في ذي الحجة.

كما روت في أبواب الحج: في حج النساء، وفي ما بين النبي ﷺ ومنبره، وفيمن أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصىٰ... وفي طواف الخروج...

وروت أيضًا في الجنائز، في الدعاء للميت، والدعاء عند المصيبة، والنهي عن اكتحال الحادة.

وروت في الأدب، وفي ستر العورة، وفي رفع الرأس إلى السماء عند الخروج من البيت، والمرأة ترخي من إزارها ذراعًا، وروت في الأشربة، والنهي عن عجم النوى طبخًا وخلط النبيذ بالتمر... وفي النكاح، روت زواجها، وفي الإحداد والرضاع...

كما روت في المغازي، والمظالم والفتن، في الجيش الذي يخسف به، وفي المهدي، وروت في المناقب في ذكر علي وذكر عمار.

فهذا الكم من المرويات وغيرها، كما نلاحظ تغلب عليه الصفة العملية مع وجود مرويات في غير ذلك، في الأقوال النبوية وفي

الأدعية، مما يعطي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها شهادة أيضًا على حفظها واهتمامها بما يصدر عن النبي ﷺ وروايته للناس.

وقد نقل عنها مروياتها جيل من التلاميذ رجالاً ونساء، من مختلف الأقطار، حيث روى عنها رضي الله عنها خلق كثير.

- فمن الصحابة: أم المؤمنين عائشة، أبو سعيد الخدري، عمر ابن أبي سلمة، أنس بن مالك، بريدة بن الحصين الأسلمي، سليمان بن بريدة، أبو رافع، ابن عباس.
- ومن التابعين، أشهرهم: سعيد بن المسيب، سليمان بن يسار، شقيق بن سلمة، عبد الله بن أبي مليكة، عامر الشعبي، الأسود بن يزيد، مجاهد، عطاء بن أبي رباح، شهر ابن حوشب، نافع بن جبير بن مطعم... وآخرون.
- ومن النساء: ابنتها زينب، هند بنت الحارث، صفية بنت شيبة، صفية بنت أبي عبيد، أم ولد إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف، عمرة بنت عبد الرحمن، حكيمة، رميثة، أم محمد ابن قيس.
- ومن نساء أهل الكوفة: عمرة بنت أفعى، جسرة بنت دجاجة، أم مساور الحميري، أم موسى (سرية علي)، جدة ابن جدعان، أم مبشر[1].

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبوالحجاج يوسف المزي، ٣١٩/٣٥.

دور أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها في رواية الحديث:

بعد أم المؤمنين أم سلمة التي تحتل المرتبة الثانية من حيث كثرة الرواية بين كل الراويات عمومًا وبين أمهات المؤمنين خصوصًا، تأتي أم المؤمنين ميمونة، وأم المؤمنين أم حبيبة، وأم المؤمنين حفصة، في الدرجة الثالثة، وقد صنفهن بقي بن مخلد في أصحاب العشرات بهذا الترتيب[1].

■ **ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:**

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، الهلالية[2]، وهي أخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد وابن عباس.

تزوجها أولاً مسعود بن عمر الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها وتزوجها أبي رهم بن عبد العزى فمات عنها، فتزوجها النبي ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة (٧هـ) في ذي القعدة، وبنى بها بسَرِف[3].

كانت ميمونة من سادات النساء، وخير شهادة على ذلك ما ذكرته

---

(١) تلقيح الفهوم، ابن الجوزي، ٣٦٥، وبقي بن مخلد هو: شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن الأندلسي، القرطبي، الحافظ، صاحب (التفسير) و(المسند)، وهو أول من كثّر الحديث ونشره بالأندلس، توفي سنة ٢٧٣هـ، انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، ص٢٧٧.

(٢) لها ترجمة في الإصابة، ابن حجر، ٢٩٧/٤، طبقات ابن سعد، ١٣٢/٨، السير، ٢٣٨/٢-٢٤٦.

(٣) سَرِف: بفتح أوله وكسر ثانيه، وآخره فاء، وهو موضع على ستة أميال من مكة، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، دون ذكر الطبعة، ٢١٢/٣.

عنها ضرتها عائشة لابن أختها يزيد بن الأصم، وقد أقبلت تلومه في أمر حيث يقول: «... ثم وعظتني موعظة بليغة، ثم قالت: أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة، ورمى بحبلك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»[١].

وفي هذا الخبر ما يفيد أن ميمونة ماتت قبل عائشة، فقد ذكر خليفة بن خياط موتها سنة (٥١هـ)[٢]، وقد دفنت في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ بسَرِف[٣].

■ تلاميذها ومروياتها رضي الله عنها :

روت أم المؤمنين ميمونة ستة وسبعين حديثًا (٧٦)[٤]، وبالتالي تأتي مباشرة بعد أم المؤمنين أم سلمة في الترتيب حسب كثرة الرواية، وأحاديثها في الكتب الستة واحد وثلاثون حديثًا (٣١)[٥]، وروي لها في الصحيحين سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة أحاديث[٦].

وقد روى عنها: ابن عباس ابن اختها، وابن أختها الثاني عبد الله ابن شداد بن الهاد، وابن أختها الثالث عبد الرحمن بن السائب،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ١٣٨/٨، والحاكم في المستدرك، ٣١/٤.

(٢) تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط/١، ١٩٨٥م، ص٢١٨.

(٣) انظر: ابن سعد في الطبقات، ١٣٩/٨، والحاكم في المستدرك ٣١/٤.

(٤) تلقيح الفهوم، ابن الجوزي، ص ٣٦٥.

(٥) العدد مأخوذ من تحفة الأشراف، ٤٨٤/١٣-٤٩٨.

(٦) سير أعلام النبلاء، ٢٤٥/٢.

وابن أختها الرابع يزيد بن الأصم، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس (وكان يدخل على أمهات المؤمنين)، ومولاها سليمان ابن يسار، وعطاء بن يسار، وعمران بن حذيفة، ومولاتها ندبة، والعالية بنت سبيع، وأم منبوذ.

ويلاحظ أن مروياتها توزعت على هؤلاء الرواة، وأغلبهم من محارمها وفيهم الحبر ابن عباس، إضافة إلى أن مروياتها غلبت عليها الصفة العملية، أي أنها تصف فعل النبي ﷺ في بيته ومع أهله.

فقد روي عنها في أبواب الطهارة: في كيفية الغسل من الجنابة، وفي وضوء النبي ﷺ بفضل غسل نسائه، مباشرة الحائض وهي مؤتزرة، قراءة القرآن في حجر الحائض، الصلاة بعد الأكل بدون وضوء، وهي كلها أفعال نبوية.

وفي أبواب الصلاة: روي عنها في فضل الصلاة في مسجد النبي ﷺ، وفي سجود النبي ﷺ... وفي الجنائز: في الميت يصلي عليه أمة من الناس... وروت في الصيام: في صيام النبي ﷺ في عرفة.

وروي عنها في الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة، وفي رقية النبي ﷺ، كما روي عنها في العتق.. ولعل أبرز حكم ارتبط باسم ميمونة رضي الله عنها هو تزويج المحرم، فقد تضاربت الروايات في قصة تزويج النبي ﷺ ميمونة، هل كان حلالاً أم محرمًا؟ فقد روى ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال،

وماتت بسَرِف[1].

وقد روي عن ميمونة نفسها قولها: «تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف»[2].

وعن يزيد بن الأصم قال: خطبها وهو حلال، وبنى بها وهو حلال»[3].

وقد عاشت أم المؤمنين ميمونة في البيت النبوي ثلاث سنوات، وبقيت بعده إلى سنة (٥١هـ)، فثلاث سنوات وإن كانت مدة قصيرة إلا أنها سمحت لها بأن تنقل عنه ﷺ مجموعة لا بأس بها من الأحاديث -كما رأينا- ساهمت في إعطاء نظرة مفصلة عن حياته ﷺ في بيته.. وكفى بها شرفًا أن قصة زواجها منه ﷺ فرع من الفروع المهمة في الفقه الإسلامي، كثرت حوله الآراء.

ومما ساعد على كثرة مروياتها مقارنة بغيرها من أمهات المؤمنين، رغم كونها آخر من تزوجها النبي ﷺ من نسائه:

أ- تأخر وفاتها رضي الله عنها (٥١هـ).

ب- كون أحد المكثرين من الرواية من محارمها وهو ابن عباس، ولا شك أن هذا يسهل عليه الدخول عليها وسؤالها في القضايا المختلفة، إذ أن أمهات المؤمنين كانت لهن حرمة خاصة.

---

(١) صحيح البخاري، المغازي، عمرة القضاء، ٤٢٥٨، ٣/١٤٥، عن ابن عباس.

(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، المحرم يتزوج، ١٨٤٣، ٢/١٦٩، عن ميمونة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، النكاح، تحريم نكاح المحرم، وكراهة خطبته، ١٤١١، ٢/١٠٣٢.

دور أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها:

هي بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي[1]، وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها، كانت قبل رسول الله ﷺ عند عبيد الله بن جحش، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم تنصر هناك ومات على النصرانية، وبقيت أم حبيبة رضي الله عنها على دينها، فأرسل النبي ﷺ من يخطبها له بالحبشة سنة ست للهجرة فتزوجها عليه الصلاة والسلام، زوجها إياه النجاشي[2]، ومهرها أربعة آلاف، وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنه، وجهازها كله من عند النجاشي، فلا يوجد في نسائه ﷺ من هي أكثر صداقًا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

فلما بلغ أبا سفيان نكاح النبي ﷺ ابنته قال: «ذاك الفحل لا يقرع أنفه»[3]، وقد كان لأم حبيبة حرمة، ولا سيما في دولة أخيها معاوية، ولمكانه منها قيل له: خال المؤمنين، وكانت قدمت

---

(١) انظر ترجمتها في: الإصابة، ابن حجر، ٤/٢٩٨.

(٢) النجاشي: أصحمة ملك الحبشة، معدود في الصحابة، وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر ولا رؤية له، وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه الناس صلاة الغائب. البخاري، المناقب، موت النجاشي، ٣٨٧٧، ٣/١٥١، وانظر السير ١/٤١٨-٤٤٣.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/٩٩، والحاكم في المستدرك ٤/٢٢.

دمشق تزوره[1].

توفيت أم حبيبة رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة[2]، وكانت قد ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا.. وقبيل موتها دعت عائشة رضي الله عنها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك.. فقالت عائشة: «غفر الله لك ذلك كله وحللت من ذلك»، فقالت: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك[3].

■ مروياتها وتلاميذها رضي الله عنها:

روت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عدة أحاديث، جعلها بقي بن مخلد خمسة وستين حديثًا[4] ولها في مجموع الكتب الستة تسعة وعشرون حديثًا[5]، اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين[6].

روى عنها أخوها معاوية وعنبسة، وابن أخيها عبد الله بن عتبة ابن أبي سفيان، وعروة بن الزبير، شتير بن شكل، شهر بن حوشب،

(١) السير ٢/٢١٨.
(٢) نفس المرجع ص٢٢٠.
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٨/١٠٠، والحاكم في المستدرك، ٤/٢٢-٢٣.
(٤) تلقيح الفهوم، ص ٣٦٥.
(٥) تحفة الأشراف، ١١/٣٠٦-٣٢٣.
(٦) السير، ٢/٢١٩.

أبو سفيان بن سعيد بن الأخنش وهي خالته، أبو صالح ذكوان السمان، صفية بنت شيبة، زينب بنت أبي سلمة...

وحديثها رضي الله عنها مشهور في تحريم الربيبة وأخت المرأة[1] وأيضًا حديثها في فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن مشهور، وقد رواه عنها معظم التلاميذ الذين ذكرناهم.

كما حوت مروياتها أحاديث في وجوب الإحداد للمرأة المتوفي عنها زوجها، وعدم جوازه لغير الزوج فوق ثلاثة أيام، والكحل للحادة.. وفي الحج، روت في استحباب دفع الضعفة من النساء وغيرهن من المزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس.

وفي أبواب الطهارة: الوضوء مما مسته النار، وفي صلاة الرجل في الثوب الذي جامع فيه، وما يجوز للرجل من المرأة الحائض.. وفي أبواب الصوم: روت في جواز القبلة للصائم، وفي الدعاء بعد الآذان.. وروت في العير التي فيها الجرس لا تصحبها الملائكة، وغيرها.

هذه عمومًا مرويات أم حبيبة رضي الله عنها وما حوته من موضوعات، وهي أيضًا كما يلاحظ وصف لأفعال النبي ﷺ وفيها أيضًا أقوال له في ذكر فضل السنن الرواتب...

والملاحظ أيضًا أن معظم مروياتها هي تقريبًا الواردة في الكتب الستة، وقد أخذنا المحتوى من تحفة الأشراف.. وتفسيرالفرق بين

---

(١) البخاري، النكاح، ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾، ٥١٠٧، ٥/٣.

جميع ما روت وما وجد في الكتب الستة، هو التكرار.. وللتأكد من هذا، رجعت إلى الطبراني الكبير وإلى زوائد الهيثمي.

دور أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:

هي بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي[1]، كانت قبل النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمي، فلما توفي عنها بأُحد خطبها النبي ﷺ بعد أن كان عمر عرضها على أبي بكر ثم على عثمان، فلم يردا عليه بالقبول إلا لكون النبي ﷺ قد ذكرها، ولما شكى عمر إلى رسول الله ﷺ ما كان من أبي بكر وعثمان قال له: «**يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة**»[2]، وكان أن تزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وتزوج النبي ﷺ حفصة سنة ثلاث من الهجرة (٣هـ)، وكان مولدها رضي الله عنها قبل البعثة بخمس سنين.

وروي أن النبي ﷺ كان قد طلق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها[3] لتحافظ على مكانتها أماً للمؤمنين.

---

(١) انظر ترجمتها في السير، ٢/٢٢٧، الإصابة، ٤/٢٦٤.

(٢) البخاري، النكاح، عرض الرجل ابنته أو أخته على أهل الخير، ٥/٢٢، ٣/٣٦٨، عن ابن عمر.

(٣) أبو داود، الطلاق، باب في المراجعة، ٢/٢٩٤.

توفيت حفصة سنة إحدى وأربعين عام الجماعة (٤١هـ)[١].

■ مروياتها وتلاميذها رضي الله عنها :

روت حفصة عن النبي ﷺ عدة أحاديث، مسندها في كتاب بقي بن مخلد بلغ ستين حديثًا[٢]، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث.. ومجموع مروياتها في الكتب الستة ثمانية وعشرون حديثًا (٢٨)[٣]، ولمزيد من التفصيل فإن مروياتها رضي الله عنها تناولت أحاديث في :

الطهارة، في وجوب الغسل على كل محتلم يوم الجمعة، وجعل اليد اليمنى للطعام والشراب. وفي أبواب الصلاة، روت في الركعتين الخفيفتين إذا نودي بالصبح وهي من فعل النبي ﷺ .

وفي الصوم، روت في : لا صيام لمن لم يُجْمِع الصيام قبل الفجر، وصوم النبي ﷺ ثلاثة أيام من الشهر، وفي القبلة للصائم، وفيمن يصبح جنبًا ثم يتم صومه، وفي صيام الاثنين والخميس، وصيام عاشوراء وغيرها.

كما روت في المناسك : في الدواب التي لا جناح على من قتلهن.. كما روت في الزينة في لبس الديباج للرجل، وفي الشمائل

---

(١) سير الأعلام، ٢/٢٩٢.

(٢) جوامع السيرة، ابن حزم، ص ١٤، تلقيح الفهوم، ابن الجوزي، ٣٦٥.

(٣) تحفة الأشراف، المزي، ١١/٢٧٨-٢٩٢.

في فراش النبي ﷺ، وفي الآداب: فيما يفعل الرجل إذا أراد النوم، وفي الطب في رقية النملة، وفي تعبيرالرؤيا، وفي الفتن في قصة ابن الصائد وخروج الدجال من غضبة يغضبها، وهذا أشهر ما روت..

ويلاحظ غلبة السنة الفعلية في وصف أعمال النبي ﷺ التي اشتركت في نقلها إلى الناس مع بقية أمهات المؤمنين، مع تفاوت في الرواية بينهن، كثرة وقلة، فحفصة أم المؤمنين تعد ضمن من أكثر عن النبي ﷺ بين الصحابيات، وبين أمهات المؤمنين من متوسطي الرواية عنه ﷺ، إلا أنها كسائر أمهات المؤمنين تختص برواية بعض الأحاديث التي لم تروها بقية أمهات المؤمنين كروايتها في الرقية من النملة، وقصة ابن الصائد، وخروج الدجال من غضبة يغضبها، والدواب التي لا جناح من قتلهن، وهكذا شرف الله تعالى أمهات المؤمنين كل واحدة بأحاديث ترويها ويلتصق اسمها بها، لتبين للعالم نور الحكمة الذي ينبع من حجرات هؤلاء السيدات رضوان الله عليهن جميعاً...

دور أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة[1]، وهي ابنة عمة

(١) انظر ترجمتها في: السير، ٢/٢١١، الإصابة، ٤/٣٠٧، أسد الغابة، ٥/٤٦٣.

الرسول ﷺ .. أمها، أميمة بنت عبد المطلب من المهاجرات الأول، كانت زينب رضي الله عنها عند زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه[1]، بعد أن فارقها زيد، فكان زواجها رضي الله عنها بالنبي ﷺ فريداً، بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، إذ كانت أكرم نسائه ﷺ وليًا[2].

كانت رضي الله عنها من سادة النساء، دينًا وورعًا وجودًا ومعروفًا، تزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة خمس للهجرة، وكانت صالحة قوامة صوامة بارة، وقد شهد لها بذلك سيد الخلق زوجها ﷺ وهو يقول لعمر: «**إن زينب بنت جحش أواهة**» قيل: يا رسول الله، ما الأواهة؟ قال: «**الخاشعة المتضرعة**، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥)»[3]، وكان النبي ﷺ ذكر لأزواجه أن: «**أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا**»[4]، فبشرها بسرعة لحوقها به ﷺ، وهي زوجته في الجنة، وفيه شهادة على برها وصدقتها، حيث إنها كانت امرأة صنّاعة اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق.

---

(١) قال تعالى: ﴿فلما قضىٰ زيد منها وطرًا زوجناكها ...﴾ (الأحزاب:٣٧).

(٢) كانت زينب تفتخر على أمهات المؤمنين وتقول: «زوجكن أهليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات»، انظر: البخاري، التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، ٧٤٢، ٣٨٨/٤، عن أنس.

(٣) ذكره الذهبي في السير، ٢١١/٢، وفي الهامش: هو مرسل وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

(٤) مسلم، الفضائل، من فضائل زينب بنت جحش، ٢٤٥٢، ٧/٤، ١٩، عن عائشة، وهو في البخاري بلفظ يوهم أن: أسرعهن لحوقًا سودة، الزكاة، باب:١١/ ١٤٢٠، ٤٣٩/١، عن عائشة.

وشهادة أخرى لها من أم المؤمنين عائشة إذ تقول: «كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل رحمًا، وأعظم صدقة رضي الله عنها»[1].

■ **تلاميذها ومروياتها رضي الله عنها:**

كانت أم المؤمنين زينب أول من لحق بالنبي ﷺ، وكان ذلك سنة عشرين للهجرة[2]، فقد عاشت خمس سنوات معه عليه الصلاة والسلام، وعشر سنوات بعده، وبلغت مروياتها وفق كتاب بقي بن مخلد أحد عشر حديثًا[3]، ولها في الكتب الستة خمسة أحاديث[4]، اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين[5]، وأشهر من روى عنها: ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنين أم حبيبة، وزينب بنت أبي سلمة، وأرسل عنها القاسم بن محمد.

ورغم أن مروياتها قليلة بالمقارنة بما ذكرنا من مرويات أمهات المؤمنين، إلا أنها صاحبة رواية خروج يأجوج ومأجوج[6]، وما صح

---

(١) مسلم، فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، ٢٤٢، ٤/١٨٩١، عن عائشة.

(٢) السير ٢/٢١٢.

(٣) تلقيح الفهوم، ابن الجوزي، ص ٣٧٠.

(٤) تحفة الأشراف للمزي، ١١/٣٢١-٣٢٣.

(٥) السير ٢/١٢١.

(٦) البخاري، الفتن، خروج يأجوج ومأجوج، ٧١٣٥، ٤/٣٢٧.

واشتهر في هذا الجانب مروي عنها، كما أن حديثها في الاستحاضة معروف، وروت أيضًا في إحداد المرأة على غير زوجها وهو مما اتفقا عليه[1]، كما روت في الطهارة في باب الوضوء بالصفر، كما روي عنها في بول الغلام وبول الجارية، وهو في غير الكتب الستة.

فتقدم وفاة زينب، قلّص من مروياتها، لكن روي الكثير في قصة زواجها بالنبي ﷺ، وفي سيرتها.. وما قيل في فضلها، يشير إلى أنها تركت ذكرًا طيبًا في عالم الناس والرواية.

دور أم المؤمنين صفية رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية، من سبط اللاوي ابن نبي الله إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام[2].

كانت قبل النبي ﷺ عند سلام بن أبي حقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبي حقيق، وكانا من شعراء اليهود، فقتل كنانة يوم خيبر، فسبيت صفية وصارت في سهم دحية الكلبي، فقيل للنبي ﷺ عنها فاصطفاها لنفسه، ثم لما طهرت تزوجها وجعل عتقها صداقها[3].

---

(١) البخاري، الجنائز، إحداد المرأة على غير زوجها، ١٢٨٢، ١/٣٩٥.

(٢) انظر: ترجمتها في سير أعلام النبلاء، ٢/٢٣١، الإصابة ٤/٣٣٧، ٣٣٨، أسد الغابة ٥/٤٩٠.

(٣) البخاري، النكاح، من جعل عتق الأمة صداقها، ٥٠٨٦، ٣/٣٥٩.

كانت رضي الله عنها امرأة شريفة عاقلة، ذات حسب ودين، وكان النبي ﷺ يكرمها ويحنو عليها كلما طالتها غيرة نسائه ﷺ، حتى إنه هجر زينب رضي الله عنها محرم وصفر ولم يأتها لأنها نالت منها بكلمة[1]، كما كان عليه الصلاة والسلام يساندها في الرد على أزواجه إذا عايرنها لكونها من غير العرب[2].

وكانت ذات حلم ووقار، ومن الشواهد على ذلك عتقها الجارية التي افترت عليها لدى عمر أنها تحب السبت وتصل اليهود، ولما عرفت أن الشيطان أوحى للجارية بذلك عفت عنها وأعتقتها[3].

توفيت رضي الله عنها سنة (٣٦هـ)[4].

■ **تلاميذها ومروياتها رضي الله عنها:**

حدث عنها علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث، وكنانة مولاها وغيرهم.

مسندها في كتاب بقي بن مخلد عشرة أحاديث[5] منها واحد متفق عليه، كما روت في الكتب الستة ستة أحاديث[6].

---

(١) لما برك بصفية أم المؤمنين الجمل، وهن مع النبي ﷺ في الحج، طلب ﷺ من زينب أن تفقر (تعير) صفية جملاً، فقالت: «أنا أفقر يهوديتك!». فغضب النبي ﷺ...». الحديث أخرجه أحمد ابن حنبل في المسند، ٦/٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) سنن الترمذي، المناقب، ٣٨٩٨، ٥/٧٠٨، وقال حسن صحيح غريب.

(٣) الاستيعاب ٤/٣٣٧.

(٤) السير ٢/٤٢.

(٥) تلقيح الفهوم. ابن الجوزي، ص٣٦٩.

(٦) تحفة الأشراف، ١١/٣٣٧، ٣٤٠.

أما محتوى مروياتها، فقد روت في باب الاعتكاف وهو مما اتفق عليه الشيخان، والمعتكف يخرج لحوائجه إلى باب المسجد، وفي استحباب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا أن يقول: هذه فلانة، كما روت في صاع النبي ﷺ، وفي الدعوات، ورواية في تزويج النبي ﷺ ميمونة وهو حلال، كما روت في المناقب في مناقبها هي، كما روت أيضًا في حديث الجيش الذي يخسف به، وسبق أن ذكرنا أن هذا الحديث روته أيضًا أم سلمة وحفصة رضي الله عنهن.

فالعشرة أحاديث المروية عن أم المؤمنين حفصة وإن كانت تبدو قليلة بالمقارنة مع بقية أمهات المؤمنين ممن سلف ذكرهن، إلا أنها رواية لسنن لم يروها أحد غيرها، فكانت شاهدة على أحكام نقلتها للناس واقترن اسمها بها.

دور أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ثم المصطلقية[١]، كانت قبل النبي ﷺ عند ابن عم لها يقال له مسافع بن صفوان ابن ذي الشفر، فقتل عنها في غزوة المريسيع سنة خمس للهجرة فكانت في السبي، فوقعت في سهم أحد الصحابة فكاتبها على

(١) لها ترجمة في: الإصابة ٤/٢٥٧، سير أعلام النبلاء ٢/٢٦١، المستدرك للحاكم، ٤/٢٧.

نفسها، فأتت النبي ﷺ تستعين به في فكاكها، فأجابها عليه الصلاة والسلام في أكرم من ذلك، تزوجها...[1]، وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقون! فاعتقوا من كان في أيديهم من سبي بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت، فكانت عظيمة البركة على قومها، وكان أبوها سيداً مطاعًا، توفيت رضي الله عنها سنة خمسين، وقيل ست وخمسين[2].

■ **تلاميذها ومروياتها رضي الله عنها:**

حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي.

بلغ مسندها في كتاب بقي بن مخلد سبعة أحاديث[3] منها أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث وعند مسلم حديثان.

وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم، في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات في ثواب التسبيح، وفي الزكاة في إباحة الهدية للنبي ﷺ وإن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العتق.

وهكذا وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين جويرية بنت

---

(١) مسلم، النكاح، فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، ١٣٦٥، ٢/٤٣، عن أنس.

(٢) الأول قال به ابن سعد في الطبقات، ٨/١٢١، والثاني خليفة بن خياط في تاريخه ص ٢٣٤.

(٣) تلقيح الفهوم، لابن الجوزي، ص٣٧٠، جوامع السيرة، لابن حزم ص ١٤٣.

الحارث رضي الله عنها اسمها في عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي ﷺ وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى ﷺ، ما تيسر لها ذلك.

دور أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها:

■ ترجمتها وفضلها رضي الله عنها:

هي سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية(١)، وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها، وانفردت به نحو ثلاث سنين أو أكثر حتى تزوج عائشة رضي الله عنها.

كانت أولاً عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العامري، كانت سيدة جليلة نبيلة، وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله ﷺ وكانت قد فركت(٢)، كانت عائشة تتمنى أن لو كانت على طريقتها، إذا تقول: «ما رأيت امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة»(٣).

وكان النبي ﷺ تزوج سودة في رمضان سنة عشر من النبوة،

---

(١) ترجمتها في: سير أعلام النبلاء، ٢/٢٦٥، الاصابة، ابن حجر ٤/٣٣٠.

(٢) البخاري، النكاح، المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها ٥٢١٢، ٣/٣٩١، عن عائشة، وفركت، وامرأة فروك: أي لا إرب لها في الرجال، انظر: أساس البلاغة، ص ٣٤٠.

(٣) مسلم، الرضاع، جواز هبتها نوبتها لضرتها ١٤٦٣، ٢/١٠٨٩، عن عائشة. وقولها: «مسلاخها»: كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها، والمسلخ: الجلد.

وهاجر بها وماتت بالمدينة سنة أربع وخمسين على رأي[1]، وعلى رأي توفيت زمن عمر[2].

■ **تلاميذها ومروياتها رضي الله عنها :**

حدث عن سودة رضي الله عنها ابن عباس، ويحيى بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم، ولها خمسة أحاديث فقط، حسب ما جمعه بقي بن مخلد[3]، ولها حديثان في الكتب الستة[4]، لم يرو لها إلا حديث واحد في البخاري وهو في الذبائح.

فمن خلال هذا العرض الموجز عن أمهات المؤمنين، فضلهن ، مروياتهن، وتلاميذهن، لا شك أنه قد ارتسم في ذهننا الدور الجبار الذي اضطلعت به نساء النبي ﷺ في نقل سننه عليه الصلاة والسلام إلى الأمة، رجالها ونسائها.

ولولا كثير من الأحاديث التي رويت عنهن لفاتنا الكثير من السنن القيمة، التي ما نقلها راوٍ أو راوية غيرهن.. فهذه الميزة وحدها كفيلة بأن تجعل منهن أعمدة رواية أفعال النبي ﷺ المعيشية، وقد تحقق ذلك خاصة في أم المؤمنين عائشة سيدة المحدثات في هذ الأمة.

---

(١) الطبقات، لابن سعد ٨/٥٢.

(٢) التاريخ الصغير، البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت دون ذكر الطبعة، ص ٥٣.

(٣) تلقيح الفهوم، ٣٧١، وجوامع السيرة، ١٤٣.

(٤) تحفة الأشراف، ١١/١٤٥.

المبحث الثاني: طبقات الراويات في القرون الثلاثة الأول الفاضلة

تمهيد:

إن أسلوب التصنيف على الطبقات في عرض التراجم، فن استعمله المسلمون مبكرًا في تاريخ الحركة التأليفية، بل هو فيما يرى «روزنثال»[١]، تقسيم إسلامي أصيل، قد يبدو أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي... وهو نتيجة طبيعية لفكرة: صحابة الرسول ﷺ فالتابعين... إلخ[٢].

ومما يؤيد هذا قوله ﷺ: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**»[٣].. وإن كان الحديث الشريف يشير إلى خيرية هذه القرون وفضلها، إلا أنه قد أحال المصنفين المسلمين إلى فن جديد في كتابة التاريخ، قائم على مفهوم الطبقة.

تعريف الطبقة:

- **في اللغة**: تذكر معاجم اللغة كلمة «طبقة» في مادة «طبق»،

---

(١) مستشرق بريطاني من بداية القرن العشرين من أساتذة جامعة ييل، له مصنفات كثيرة حول الثقافة الإسلامية، كما حقق كثيرًا من كتب التراث الإسلامي، انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط/١٩٦٥م، ٣/١٠١٦.

(٢) علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٨٣م، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣٦٥٠، ٣/٦، عن عمران بن حصين.

وقد وردت في القرآن الكريم كلمة «طبق» في قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ (الانشقاق:١٩)، وكلمة طباقًا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ (الملك:٣).. وفي اللغة، طبق من الناس أي جماعة، والمطابقة: الموافقة، وطبقات الناس مراتبهم[١].

قال ابن الأعرابي: الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم[٢].

وقد حاول بعض اللغويين تحديد الطبقة زمنيًا.

فذكر الهجري عن ابن عباس: الطبقة عشرون سنة[٣].

أما الحديث الذي ورد في تحديد عدد الطبقات والمدة الزمنية لكل طبقة[٤]، فقد أورده ابن الجوزي (ت٥٩٧)، في الموضوعات[٥].

وتعرف الطبقة في الاصطلاح: بالسن، أي اشتراك المتعاصرين في السن ولو تقريبًا.. وتعرف أيضًا بالأخذ عن المشايخ، وربما اكتفوا

---

(١) الصحاح، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٩٨٧م، ١٥١٢/١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٧٩/١٢، وابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد الهاشمي، إمام اللغة النسابة، ولد سنة ١٥٠هـ، توفي سنة ٢٣١هـ، انظر: السير ٦٨٧/١٠.

(٣) تاج العروس، للزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، ط/١، ١٣٠٦هـ، ٤١٤/٦.

(٤) «أمتي على خمس طبقات، كل طبقة أربعون عامًا». انظر: كنز الكمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين الهندي (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، ط/٥، ١٩٨٥م، حديث رقم ٣٢٤٤٥، ٥٢٥/١١.

(٥) انظر: الموضوعات الكبرى، لابن الجوزي: كتب قرآن محل كراتشي، باكستان، ط/١٩٦٨م، ١٩٧/٣.

بالاشتراك في التلاقي، وهو غالب ملازم للاشتراك في السن[1].

والباحث الناظر في هذا الفن، يحتاج إلى معرفة المواليد والوفيات، ومن أخذوا عنه، ومن أخذ عنهم، إذ قد يوجد شخصان يكونان من طبقة واحدة بالنسبة إلى جهة في تشابههما، ومن طبقتين بالنسبة إلى جهة أخرى لا يتشابهان فيها[2].

أهمية التصنيف على الطبقات:

لعلم الطبقات أهمية خاصة لدى أصحاب الحديث باعتبارهم حفظة السنة.. ولما كان نقلة الكنوز النبوية، الرواة، مادة بحث عند المحدثين في بيان أهليتهم في قبول روايتهم، اختص تصنيفهم على الطبقات بميزات، وضمن فوائد كثيرة لها علاقة بنقد إسناد الحديث، نذكرها في عنصرين:

- الأمن من تداخل المشتبهين، كالمتفقين في اسم أو كنية أو غير ذلك.
- إمكان الاطلاع على تبيين التدليس، والوقوف على حقيقة المراد من العنعنة[3].

---

(١) معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، ص١٥٣.

(٢) التقييد والإيضاح، زين الدين العراقي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م، ص ٤١٣.

(٣) نزهة النظر، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الغزالي، دمشق ط/٢، ١٩٩٠م، ص ١٥٠.

ولتوضيح ذلك نقول: إن التمييز بين الطبقات وسيلة لمعرفة ما في الحديث من إرسال أو انقطاع أو عضل أو تدليس[1].

وبه يمكن التمييز بين الأسماء المتشابهة والمتفقة، فقد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما الآخر، فإذا أردنا التمييز بينهما ينبغي معرفة طبقتهما إن كانا من طبقتين.

التحديد الزمني للطبقة:

إن استعمال الطبقة كوحدة زمنية ثابتة لم يظهر إلا في فترة متأخرة جداً، حينما استعملها الذهبي وجعلها تساوي عشر سنين في كتابه الكبير: «تاريخ الإسلام»[2]. وأقدم ما وصل إلينا من كتب الطبقات، «الطبقات» لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)[3].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح، ص ١٢٣.

ـ المرسل: هو ما سقط من إسناده اسم الصحابي، اختصار علوم الحديث، ابن كثير، مكتبة الفيحاء، بيروت، ط/١، ١٩٤٠م، ص ٤٧.

ـ المنقطع: هو أن يسقط من السند رجل ليس بصحابي، اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ص٤٧.

ـ المعضل: هو ما سقط من إسناده اثنان على التوالي، اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص٥٠.

ـ المدلس: أن يروي عمن لقيه ما لم يسمع منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهمًا أنه سمعه منه، انظر: اختصار علوم الحديث، ابن كثير ٥٢.

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم ضياء العمري، دون ذكر الدار التي طبعت أو نشرت، ط/٢، ص١٨٢ فما بعد.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، روزنتال، ١٣٣.

وكل من خليفة وابن سعد لم يستعمل الطبقة باعتبارها وحدة زمنية ثابتة، لكن كان لكل واحد تحديد يحقق له الغاية المراد إبرازها[1].

ولعل أبسط أشكال التقسيم على الطبقات هو استعمالها بمعنى الجيل، وهذا ما يتمثل في مصنفات ابن حبان (ت٣٥٤هـ)في كتابيه «الثقات»، و«مشاهير علماء الأمصار»، فقد قسم الرواة إلى أربع طبقات وهي: الصحابة، التابعين، وأتباع التابعين، وتبع الأتباع[2].

اختيارنا في هذا المبحث:

وقد تبينت لنا نسبية النظر إلى الطبقات، وجب تحديد مفهوم الطبقة الذي عنيناه واخترناه، وفي هذا نقول: إن الغرض والمراد من هذا المبحث هو إبراز مساهمة النساء في الرواية عمومًا في هذه القرون الفاضلة، وبيان التفاوت الموجود بين مختلف القرون بالنسبة للدور الذي اضطلعت به النساء في حفظ السنن أولاً، ثم تبليغها وروايتها،

= - خليفة بن خياط: هو ابن خليفة بن الخياط العصفري أبو عمرو البصري لقبه شباب، صدوق ربما أخطأ وكان أخباريًا علامة، توفي ٢٤٠هـ، انظر: التقريب ٢٢٧/١.

- وابن سعد هو: أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي متوفي سنة ٢٣٠هـ، صاحب الطبقات الكبري، انظر: كشف الظنون، ١١٠٣/٢.

(١) في الوقت الذي عد فيه خليفة الصحابة طبقة واحدة، عدهم ابن سعد عدة طبقات، وأما طبقة التابعين ومن بعدهم فقائم عند خليفة وابن سعد على اعتبار اللقيا بين الصحابة والتابعين، انظر: بحوث في تاريخ السنة، ضياء العمري، ص١٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٨١.

ثم التعريف بالراويات المشهورات المعروفات بروايتهن للحديث في كل فترة من الفترات عبر القرون الثلاثة.. ولتيسير هذه الفائدة بالذات، عمدنا في التقسيم على الطبقات إلى اعتبار الجيل في تحديد الطبقة، مستلهمين ذلك من تقسيم ابن حبان، أي الصحابيات، التابعيات، تابعات التابعيات، تابعات الأتباع، إلى نهاية القرن الثالث.

ولما كانت تواريخ وفاة الرواة عمومًا في القرون الثلاثة الأولى فيها اختلاف، وبالنسبة للراويات كثيرًا ما تكون مجهولة، لم أُولِ اهتمامًا كبيرًا لسن الراويات ولا للأفضلية بين الصحابيات، حيث جعلت الصحابيات كلهن في طبقة واحدة، وفي ذكرهن راعيت حجم الرواية عندهن فقط لأنه مراد بحثنا.

● والتابعيات عموماً طبقة ثانية (ربما فرقت بينهن إذا لزم ذلك) حيث أجعل:

- كبار التابعيات من يروين عن كبار الصحابة.
- صغار التابعيات من يروين عن صغار الصحابة.
- وكبار تابعيات التابعين من يروين عن كبار التابعين وهكذا...

حيث تكون كبار التابعيات طبقة تلي الصحابيات، وتلي كبار التابعيات صغارهن، وهلم جرا وأورد هذا فقط عند كثرة الراويات بحيث يلزم منه تقسيمهن على طبقات، وإلا فالأصل كما ذكرنا في الأول.

وراعينا في هذا التقسيم القرون الثلاثة، أي مبتدئين بالقرن الأول ثم الثاني ثم الثالث، حتى نكشف عن حركة الرواية عند النساء، كثافتها وقيمتها وتطورها، وهو في آخر المطاف ما نهدف إلى إبرازه إن شاء الله تعالى.

طبقات الراويات في القرن الأول:

تعايشت في هذا القرن كبار الصحابيات وصغارهن وكبريات التابعيات ممن يروين عن كبار الصحابة، ويغلب على هذا القرن وجود الصحابة، فكلهم توفي خلاله، وكان آخر الصحابيات وفاة هي أم خالد ابن سعيد بن العاص[1]، كما ذكر ذلك الذهبي في السير حيث قال: عمّرت إلى قريب عام تسعين[2]، ولعل مما يؤيد هذا دعوة النبي ﷺ لأم خالد لما أهداها ثياباً حيث قال: «**أبلي وأخلقي**»، والحديث في البخاري[3].

١ - الطبقة الأولى: الصحابيات:

وإن كان القرن الأول الهجري يعد له من السنة الأولى للهجرة،

(١) إحدى فضليات نساء الصحابة، ولدت بالحبشة وأقامت بها بضع عشرة سنة ثم قدمت مع مهاجري السفينتين إلى المدينة، تزوجها الزبير بن العوام، وحدثت عن النبي ﷺ سبعة أحاديث وروتها عنه، روى لها البخاري حديثين، كما روى لها أصحاب السنن أبو داود والنسائي، انظر: سير الأعلام ٣/٤٧٠، والإصابة، ابن حجر ٤/٤٢٩.

(٢) السير ٣/٤٧١، و ١/٢٦١.

(٣) البخاري، كتاب اللباس، الخميصة السوداء، ٥٨٢٣، ٤/٦٠، عن أم خالد بنت خالد.

إلا أننا لسنا معنيين بفترة العشر سنوات الأولى من حياة الصحابيات لأنها تختص بعناية النبي ﷺ بالمرأة تعليمًا، وإعدادها للمساهمة في نقل الدين والسنة النبوية خصوصًا. وعليه ونحن نتكلم عن طبقة الصحابيات نركز على الفترة بين (١٣- ١٠٠هـ).

معرفة الصحابة:

معرفة الصحابة فصل يتأكد الاعتناء به وتمس الحاجة إليه، إذ هو أمر عظيم وفن مهم، لما يترتب عليه من معرفة المتصل من المرسل، وتمييز الصحابة عن غيرهم، والحكم للصحابة بالعدالة[١].

تعريف الصحابي:

في اللغة: الصاحب مشتق من الصحبة، ولها معان لغوية كلها تدور حول الملازمة والانقياد[٢].

في الاصطلاح: والصحابي عند جمهور المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ يقظة، مؤمنًا به بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان[٣].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ومكتبة الغزالي، دمشق، دون ذكر الطبعة، ١/٣٥.

(٢) انظر: لسان العرب،لابن منظور، ١/٥٢.

(٣) نزهة النظر: (شرح نخبة الفكر) لابن حجر ص١١٤، وقال «وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عن المحققين كالبخاري وأحمد بن حنبل وغيرهما»، وانظر: الإصابة، ص١/١١.

شرح التعريف: قوله من لقي النبي ﷺ: يدخل فيه من طالت مجالسته مثل: أبو بكر، عمر، عثمان، وغيرهم ممن لازم النبي ﷺ، أو قصرت مثل: الوافدين عليه ﷺ: كضمام بن ثعلبة وغيره، ممن لم يمكث مع النبي ﷺ إلا قليلاً كما ذكر الحافظ ابن حجر[١]، أو رآه ولم يجالسه مثل بعض الأعراب الذين شهدوا مع النبي ﷺ حجة الوداع، فإنهم رأوه ولم يجالسوه.

ويدخل فيه من روى عنه حديثًا واحدًا، ومن روى حديثين أو أكثر، مثل عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة وغيرهم من مكثري الرواية، أو لم يرو شيئًا أصلاً.

ويدخل فيه البالغون باتفاق، أما غير البالغين فقد اشترط التمييز فيهم يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم وغيرهم كما ذكر العراقي[٢]:

● وقوله: **يقظة**:

يخرج به من لقي النبي ﷺ في منامه، فإنه ليس صحابيًا[٣]، كماجزم البلقيني والحافظ ابن حجر[٤]، والسخاوي[٥].

(١) الإصابة ١/١١.
(٢) التقييد والإيضاح. العراقي ٢٩٢.
(٣) نفس المرجع السابق. ص ٢٩٥.
(٤) فتح الباري. ابن حجر ٧/٥.
(٥) فتح المغيث. السخاوي ٣/٨٩.

● وقوله: **مؤمنًا به:**

فصل يخرج به من لقيه كافرًا به، فإنه لا يعد من الصحابة.

ويدخل فيه من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد وعاد إلى إيمانه في حياة النبي ﷺ ولقيه مرة أخرى: عبد الله بن سعد بن أبي السرح[1].

● وقوله: **بعد بعثته:**

خرج به من لقيه مؤمنًا به قبل بعثته مثل: جرجيس ابن عبد القيس المعروف ببحيرا الراهب، فقد عرفه وهو ذاهب إلى الشام، وآمن به قبل بعثته.

● وقوله: **حال حياته:**

فصل آخر خرج به من لقيه يقظة مؤمنًا به بعد انتقاله ﷺ للرفيق الأعلى مثل:

أبي ذويب الهذلي الشاعر، فقد رآه وهو مسجى قبل أن يدفن.

● وقوله: **ومات على الإيمان:**

فصل آخر خرج به من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد واستمر على ردته

---

(١) هو الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث القرشي العامري «توفي ٣٦هـ أو ٣٧هـ». أخو عثمان بن عفان من الرضاع، أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي، ثم ارتد مشركًا. أمّنه عثمان يوم الفتح وحسن إسلامه، تولى لعثمان مصر سنة ٢٥هـ، وفتح إفريقيا سنة ٢٧هـ. واعتزل الفتنة وأقام بفلسطين. انظر: الطبقات، ابن سعد ٤٩٦/٧، الاستيعاب، ٩١٨/٣.

حتى الموت، مثل عبيد الله بن جحش[1].

عدد الصحابيات الراويات:

إن معرفة هذا العدد مقترنة بمعرفة عدد الصحابة الرواة إجمالاً، رجالاً منهم ونساء، وعليه نقول: إن الكتب التي صنفت في معرفة الصحابة ضمت الألوف من تراجم هؤلاء، فعلى سبيل المثال:

- بلغ عدد الصحابة في كتاب الإصابة لابن حجر (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ)[2] (١٢٣٠٤) ترجمة، وفيهم من لم تثبت صحبته، وجميع ما في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير[3] (٧٥٥٤) نفساً، وفيهم أيضاً عدد ممن لم تثبت صحبتهم[4].

ثم جاء الذهبي (٧٤٨هـ) وقام بتجريد أسماء الصحابة من أسد الغابة، وأضاف إليهم من مصادر أخرى، فبلغت تراجمه (٨٨٦٦) صحابي وصحابية، وفيهم من لم تثبت صحبته، ثم إنه لم يقع إحصاء للسكان في عصر النبوة، لكن العلماء ذكروا أرقاماً توضح عددهم على وجه التقريب.. هنا بعض الأمثلة:

أ- ذكر الشافعي أن عدد المسلمين عند وفاة الرسول ﷺ ستون

---

(١) انظر شرح التعريف في: نزهة النظر، لابن حجر، ص ١١٥-١١٧.

(٢) انظر طبقات الحفاظ، السيوطي، ص٥٥٢.

(٣) انظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، ص٤٩٥.

(٤) الإصابة (خطبة الكتاب)، ١/٥.

ألفًا، ثلاثون ألفًا بالمدينة وثلاثون ألفًا بغيرها[1].

ب- وقول أبي زرعة الرازي: «شهد حجة الوداع أربعون ألفًا، وكان معه بتبوك سبعون ألفًا»[2].

جـ- وصح عن سفيان الثوري أنه قدر عدد الصحابة حين وفاة عمر رضي الله عنه، باثني عشر ألفًا، وذلك بعد أن مات واستشهد الكثيرون منهم في الغزوات والردة والفتوح»[3].

د- أقصى تقدير لعدد الصحابة ورد عن أبي زرعة في غير القول السابق، حيث قال: «توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعًا أو رؤية»[4].

وأقوال كثيرة غير هذه ظاهرها التضاد، لكن في الواقع هي أقوال لأصحابها، كل واحد حكى على قدر تتبعه ومبلغ علمه، وأشار بذلك إلى وقت خاص وحال، فإذًا لا تضاد بين كلامهم على قول السخاوي[5].

---

(١) اختصار علوم الحديث، مع (شرحه الباعث الحثيث)، لابن كثير، ص١٧٥.

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة، وأبو زرعة هو. عبيد الله بن عبد الكريم القرشي المخزومي أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، توفي بالري سنة ٢٦٤هـ، انظر: طبقات الحفاظ.

(٣) الإصابة ٣/١.

(٤) فتح المغيث للسخاوي، ١٢١/٣، والإصابة ٢/١.

(٥) فتح المغيث، ١٢٤/٣.

وعلى كل هذه الأعداد المذكورة وغيرها، «لم يحصل لنا جميعًا، أي كل من صنف في الصحابة، الوقوف على العشر من أساميهم»[1].

ولا شك أن العدد الأكبر من الصحابة لم تصل إلينا بواسطتهم أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ، فقد ذكر الحاكم أن الرواة عن النبي ﷺ من الصحابة أربعة آلاف، وتعقبه الذهبي بأنهم نحو من ألف وخمسمائة، لا يبلغون ألفين أبدًا[2].

ومما يدل على أن ما ذكره الذهبي هو الأقرب، الإحصائية التي قام بها الدكتور أكرم ضياء العمري أثناء تحقيقه لكتاب بقي بن مخلد في مقدمته (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث) حيث ذكر أن:

أ- قائمة الصحابة الرواة التي نظمها ابن الجوزي بلغت (١٨٥٨) صحابي وصحابية، (١٦٤٢صحابي + ٢١٦صحابية)، وفيهم من لا تصح روايته.

وقال: إذا جمعنا عدد الصحابة الذين خرّج لهم الإمام أحمد في مسنده وعددهم (٩٠٤) مع عدد الصحابة الذين أضافهم بقي ابن مخلد في مسنده ممن لم يخرج لهم الإمام أحمد وعددهم

(١) فتح المغيث ٣/١٢٤.

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٥٦٨)، ثم الـذين أضـافهم أبو بكر البرقي[١]، إلى قـائمة بـقي ابن مخلد ممن لم يخرج لهم بقي ولا الإمام أحمد، وعددهم (٨٧)، ثم الذين أضافهم ابن الجوزي[٢] من شتى المصادر الأخرى وعددهم (٦)، فإن عدد الصحابة الرواة يبلغ (١٥٦٥) صحابيًا، ومن ذلك يتبين أن تقدير الحافظ الذهبي لعدد الصحابة الرواة أقرب إلى الصحة من تقدير الحاكم النيسابوري[٣].

ولما كانت قائمة بقي بن مخلد تضم أعدادًا أكبر من الصحابة الرواة، وتحتوي على أعداد أكثر من أحاديثهم، عمدنا إلى اعتبارها في بيان عدد الصحابيات الراويات لحديث رسول الله ﷺ.

أشهر الصحابيات الراويات عن النبي ﷺ مرتبات حسب كثرة الرواية:

أ- روى عن النبي ﷺ من أصحاب الألوف -المكثرين- راوية واحدة هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم ذكرها في المبحث السابق، ولم ترو واحدة من الصحابيات فوق الألف غيرها،

---

(١) المحدث الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن البرقي، كان من أئمة الأثر، وله كتاب في معرفة الصحابة وأنسابهم، توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر: السير ٤٧/٣، وشذرات الذهب، ١٥٨/٢.

(٢) هو الإمام الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي صاحب التصانيف الكثيرة، توفي ٥٩٧هـ، انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي، ص٤٨٠.

(٣) انظر مقدمة المحقق لكتاب بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث) دراسة وتحقيق، أكرم ضياء العمري، ص ١٥١.

وأما باقي الراويات من الصحابيات فهن من أصحاب العشرات والآحاد.

ب- ثم قد روى عن النبي ﷺ من أصحاب المئين، أم سلمة رضي الله عنها، وقد تقدم ذكرها أيضًا في المبحث السابق.

جـ- وروى عن النبي ﷺ من أصحاب العشرات:

أسماء بنت يزيد بن السكن، أم المؤمنين ميمونة، أم المؤمنين أم حبيبة، أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهن جميعًا، وقد سبق ذكر أمهات المؤمنين.. أسماء بنت عميس(١)، أسماء بنت أبي بكر(٢)، أم هانئ بنت أبي طالب(٣)، أم عطية

(١) الخثعمية وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها، كانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب، فولدت له هناك الأولاد، ولما توفي جعفر تزوجها أبو بكر الصديق، ثم علي ابن أبي طالب، بعد وفاة الصديق، وهي ممن روين عن النبي ﷺ فأكثرن، إذ روت عنه ﷺ ستين حديثًا، انفرد بالإخراج عنها مسلم، وروى لها أصحاب السنن الأربعة. عاشت بعد وفاة علي، وتوفيت سنة ٦٠هـ. انظر: الإصابة ٤/٢٢٥-٢٢٦.

(٢) الصديقة القرشية المكية ثم المدنية أم عبد الله، ذات النطاقين، زوج الزبير بن العوام وأخت عائشة أم المؤمنين، أسلمت قديمًا بعد سبعة عشر إنسانًا، وهاجرت إلى المدينة حاملاً بابنها عبد الله، وعاشت إلى أن ولي الخلافة، ثم إلى أن قتل، وماتت بعده بقليل، روت أسماء عن النبي ﷺ عدة أحاديث بلغت ثمانية وخمسين حديثًا، وكانت من فقيهات نساء الصحابة ومن العالمات منهن، حدث عنها عدد من أجلاء الصحابة والتابعين. انظر: الإصابة، ٤/٢٤٤، سير الأعلام ٢/٢٩٢.

(٣) اسمها فاختة ابنة عم النبي ﷺ اشتهرت بمكة بأنها إحدى ذوات الرأي السديد والأدب الجم. أسلمت عام الفتح فدخل النبي ﷺ بيتها وصلى صلاة الضحى، وروي لأم هانئ عن رسول الله ﷺ ستة وأربعين حديثًا، في الكتب الستة وغيرها. عاشت بعد علي. انظر: الإصابة ٤/٤٧٩، ٤٨٠، أسد الغابة ٥/٦٢٤.

الأنصارية[1]، فاطمة بنت قيس[2]، أم الفضل بنت الحارث[3]، أم قيس بنت محصن[4]، الربيع بنت معوذ[5]، وقد ذكرناهن جميعًا لفضلهن وأهمية رواياتهن مع ما عرفن به من الاهتمام بتحصيل العلم وحفظه ثم تبليغه للناس.

● ومن أصحاب الثمانية عشر:

- فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

---

(١) اسمها نسيبة، وهي بنت الحارث من كبار الصحابيات، أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار، وبايعت النبي ﷺ مع نسوة من الأنصار بيعتها المشهورة، وكانت تكثر الغزو مع رسول الله ﷺ وروت عنه ﷺ أربعين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم لها على ستة وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديث، انظر: الإصابة ٤/٤٥٥، سير الأعلام ٢/٣١٨.

(٢) ابن خالد القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس، من المهاجرات الأول، كانت من ذوات العقل، وفي بيتها اجتمع أهل الشورى بعد مقتل عمر، وهي إحدى الصحابيات العالمات والفقيهات، روت عن النبي ﷺ أربعة وثلاثين حديثًا، لها حديث متفق عليه، ولمسلم ثلاثة أحاديث، عاشت إلى ما بعد سنة خمسين للهجرة، وتوفيت في خلافة معاوية، الإصابة ٤/٣٧٣، سير الأعلام ٢/٣١٩.

(٣) اسمها لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، امرأة العباس بن عبد المطلب، أسلمت قبل الهجرة وقبل زوجها العباس، وكانت من علية النساء وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام زوجها العباس، روت عن النبي ﷺ ثلاثين حديثًا، أخرج لها في الصحيحين ثلاثة، واتفق البخاري ومسلم لها على حديث واحد، انفرد مسلم بواحد، والبخاري بواحد، خرجوا لها في الكتب الستة، توفيت قبل زوجها العباس، وكانت وفاتها في خلافة عثمان، انظر: سير الأعلام ٢/٣١٥، الإصابة ٤/٤١٦.

(٤) ابن حرثان الأسدية، اسمها: أمية أخت الصحابي الجليل عكاشة بن محصن، كانت ممن أسلم قديمًا بمكة وبايعت وهاجرت.. روت عن النبي ﷺ أربعة وعشرين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم لها على حديثين، وهي من المعمرات، الإصابة ٤/٤٦٣.

(٥) ابن عفراء الأنصارية النجارية، من بني عدي بن النجار، كانت من المبايعات بيعة الشجرة، وكانت تغزو مع النبي ﷺ، روت عن النبي ﷺ واحدًا وعشرين حديثًا، اتفق لها البخاري ومسلم على حديث واحد، انظر: أسد الغابة ٥/٤٥١، السير ٣/١٩٨.

● ومن أصحاب الأربعة عشر:

- أم سليم بنت ملحان[1].

● ومن أصحاب الاثنا عشر:

- الشفاء بنت عبد الله العدوية[2]، سبيعة الأسلمية[3].

● ومن أصحاب الأحد عشر:

- أم المؤمنين زينب بنت جحش (تقدم ذكرها)، ضباعة بنت الزبير[4]، بسرة بنت صفوان[5].

● أصحاب العشرة:

- صفية أم المؤمنين (تقدم ذكرها)، أم هشام بنت حارثة،

---

(١) وهي أم أنس خادم رسول الله ﷺ اشتهرت بكنيتها، واختلف في اسمها، قيل: رميثة، وقيل: الغميصاء، وقيل: الرميصاء، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل بعد موت زوجها مالك بن النضر، شهدت حنينًا وأحدًا، وكانت من فضليات النساء، روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثًا، اتفق لها على حديث وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين، انظر الإصابة ٤/٤٤١، السير ٣/٣١١.

(٢) أسلمت الشفاء قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي ﷺ وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها، وكانت إحدى النساء القرشيات ممن يعرفن الكتابة والقراءة، الإصابة ٤/٣٣٢، الاستيعاب ٤/٣٣٣.

(٣) هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية، كانت تحت سعد بن خولة فتوفي عنها وهي حامل فلما وضعت أمرها النبي ﷺ أن تحل، أخذ عنها هذه القصة كثير من فقهاء الأمصار، انظر: الإصابة ٤/٣١٧.

(٤) ابن عبد المطلب بن هاشم القرشية بنت عم النبي ﷺ زوج المقداد بن الأسود أحد كبار الصحابة توفيت سنة ٤٥هـ، انظر: السير ٢/٢٧٥، الإصابة ٤/٣٤٣.

(٥) القرشية الأسدية، لها سابقة قديمة وهجرة، وكانت من المبايعات، عاشت حتى ولاية معاوية ابن أبي سفيان، انظر: الإصابة ٤/٢٤٥، أسد الغابة ٥/٤١٠.

أم مبشر[1]، أم كلثوم[2]، أم كرز[3]، أم معقل[4].

● أصحاب الثمانية:

- أم الحصين[5]، خولة بنت قيس، زينب امرأة ابن مسعود[6]، الفريعة بنت مالك، خنساء بنت خدام، أميمة بنت رقيقة.

● أصحاب السبعة:

- أم خالد بنت خالد، أم حرام بنت ملكان، زينب بنت أم سلمة، جويرية أم المؤمنين (تقدم ذكرها)، سلمى مولاة رسول الله ﷺ.

● أصحاب الستة:

- أم جندب[7]، أم العلاء[8].

---

(١) بنت البراء بن معرور الأنصارية، امرأة زيد بن حارثة، من كبار الصحابة، روت عن النبي ﷺ أخرج لها مسلم في الصحيح والنسائي في السنن. انظر: ابن سعد ٤٥٨/٨.

(٢) بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو الأموية القرشية، أخت عثمان بن عفان لأمه. كانت من المهاجرات المبايعات فيها أنزلت: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ (الممتحنة:١٠)، روت عن النبي ﷺ، الاستيعاب ١٩٥٣/٤، الإصابة ٤١٧/٤.

(٣) الخزاعية ثم الكعبية، أسلمت يوم الحديبية وروت عن النبي ﷺ حديثًا في العقيقة مشهورًا رواه أصحاب السنن. الإصابة ٤٦٥/٤.

(٤) الأزدية، زوج أبي معقل، يقال أشجعية، ويقال أنصارية، الإصابة ٤٧٥/٤.

(٥) الأحمسية، روت عن النبي ﷺ وكانت ممن شهد حجة الوداع. الإصابة ٤٣٤/٤.

(٦) بنت عبد الله الثقفية بنت أبي معاوية، وهي التي تروي في النفقة على الزوج والأيتام. الإصابة ٣١١/٤.

(٧) الأزدية والدة سليمان بن عمرو بن الأحوص، وهي التي تروي حديث: «ارموا الجمار بمثل حصى الخذف ولا تقتلوا أنفسكم». الإصابة ٤٢٠/٤، الاستيعاب ٤٢٠/٤.

(٨) الأنصارية من المبايعات. نسبت ببنت الحارث بن ثبات بن حارثة. الإصابة ٤٥٦/٤.

● أصحاب الخمسة:

- أم بجيد[1]، أم الدرداء الكبرى[2]، صفية بنت شيبة، أم أيمن[3]، سودة أم المؤمنين.

● أصحاب الأربعة:

- أم صبية[4]، أم ليلى[5]، أم النذر[6]، أم كردم[7]، رويبة[8]، أم حبيبة بنت سهل.

● أصحاب الثلاثة:

- الصماء بنت بسر، فاطمة بنت أبي حبيش، أم سعد[9]،

---

(١) الأنصارية الحارثية اسمها حواء مشهورة بكنيتها. الإصابة ٤/٢٦٩.

(٢) اسمها خيرة بفتح المعجمة وسكون المثناة بنت أبي حدرد زوج أبي الدرداء، كانت من فاضلات النساء وذوات الرأي فيهن مع العبادة، توفيت قبل أبي الدرداء. الإصابة ٤/٢٨٨.

(٣) اسمها بركة مولاة النبي ﷺ تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ فولدت له أسامة، كانت ممن أسلم قديماً وهاجر. الإصابة ٤/٤١٦.

(٤) الجهنية وقيل اسمها خولة بنت قيس. حديثها عند أهل المدينة. الإصابة ٤/٤٤٨.

(٥) بنت رواحة الأنصارية، امرأة أبي ليلى والدة عبد الرحمن بن أبي ليلى. كانت من المبايعات. الاستيعاب ٤/٤٧٠.

(٦) بنت قيس الأنصارية النجارية، قيل اسمها سلمى وقيل هي غيرها. الإصابة ٤/٤٧٧.

(٧) لم أجدها في كتاب من كتب الصحابة.

(٨) لم أجد لها ترجمة.

(٩) بنت سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارية، أوصى بها أبوها إلى أبي بكر الصديق. فكانت في حجره. الإصابة ٤/٤٣٧.

أنيسة[1]، سلامة بنت الحر، درّة بنت أبي لهب، ميمونة بنت سعد.

● أصحاب الاثنين:

- ذكر فيهم ثمانية عشر صحابية نذكر منهن: جدامة بنت وهب،عائشة بنت قدامة، أم زياد[2]، أم طارق[3]، وغيرهن.

● أصحاب الواحد:

ذكر فيهم ثمانية وأربعين صحابية فيهن: بقيرة امرأة القعقاع ابن عمرو، خيرة امرأة كعب بن مالك، أم فروة[4]، أم مالك البهزية، أم إسحق الغنوية[5]، أم أيوب[6]، وغيرهن.

٢- الطبقة الثانية: التابعيات:

● معرفة التابعين:

معرفة التابعين بصفة عامة لا تخلو من فائدة، بل هي عند أهل

---

(١) ذكر ابن عبد البر ثلاثًا، فلا أدري أيهن المقصودة هنا، الاستيعاب ٤/٢٤٠، وذكر ابن حجر أنيسة بنت كعب وهي أم عمارة فلعلها هي، الإصابة ٤/٢٤١.

(٢) الأشجعية جدة حشرج، كانت سادسة ست نسوة غزون مع النبي ﷺ يوم خيبر. أسد الغابة ٥/٥٨٤.

(٣) مولاة سعد بن عبادة، حديثها في الاستئذان. انظر: الإصابة ٤/٤٤٢، وأسد الغابة ٥/٥٩٦.

(٤) الأنصارية عمة قاسم بن غنّام، من المبايعات تحت الشجرة، الإصابة ٤/٤٦٠.

(٥) الغنوية هاجرت مع النبي ﷺ، يروي عنها أهل البصرة، الاستيعاب ٤/٤١٥.

(٦) أم أيوب الأنصارية: الخزرجية زوج أبي أيوب وهي بنت قيس بن سعد بن قيس بن عمرو بن امرؤ القيس، نزل عليهم النبي ﷺ حين قدم المدينة مهاجرًا، انظر: تهذيب الكمال، ٣٥/٣٣١.

الصنعة علم أصيل يرجع إليه في معرفة المرسل والمسند مثلما هو الأمر في معرفة الصحابة[1]، وفي فضل التابعين جاء الحديث النبوي: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم... إلخ**»[2].

وطبقة التابعين على هذا، تأتي بعد طبقة الصحابة في الفضل، بموجب هذا الحديث.

فخير الناس قرنا بعد الصحابة من شافه أصحاب الرسول ﷺ وحفظ عنهم الدين والسنن وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل[3].

تعريف التابعي:

قيل في تعريف التابعي اصطلاحًا أقوال نذكر منها:

- القول الأول: هو من صحب صحابيًا، وهو ما ذهب إليه الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ)، فبناء على هذا التعريف لا يكتفى فيه بمجرد الرؤية، خلافًا للصحابي مع النبي ﷺ، فالاجتماع به يؤثر النور القلبي أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار، كما ذكر هذا السيوطي في التدريب[4].

- القول الثاني: التابعي من لقي صحابيًا وإن لم يصحبه كما قيل

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي ٢/٢٣٤.
(٢) قد مرّ تخريجه في معرفة الصحابة.
(٣) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ص ٤٢.
(٤) تدريب الراوي، السيوطي ٢/٢٣٤.

في الصحابي، وهذا مذهب الحاكم (ت٤٠٥هـ)[1]، وهو أقرب كما يقول ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)[2]، والأظهر كما يقول النواوي (ت٦٧٦هـ)[3]، وقال العراقي: «وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث: مسلم بن الحجاج (٢٦١)، وأبي حاتم بن حبان (ت٣٥٤هـ)، وغيرهم[4].

ففي كلام هؤلاء الأئمة الاكتفاء في التابعي بمجرد رؤية الصحابي دون اشتراط الصحبة، إلا ابن حبان اشترط في ذلك أن تكون رؤيته له في سن من يحفظ عنه، فإن كان صغيراً لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته.

فإن كانت التابعية من لقيت الصحابي، فهناك عدد كبير من النساء ممن لقين أمهات المؤمنين -خصوصًا عائشة- رضي الله عنهن جميعًا، كذا من لقين الصحابيات والصحابة وروين عنهم أحاديث في كتب السنة من السنن والجوامع والمسانيد وغيرها.

أ- أشهر التابعيات الراويات في القرن الأول (من كبارهن):

لعل وجود الصحابة خلال هذا القرن وتكفلهم بالتبليغ عن رسول الله ﷺ قد غطى على رواية التابعين ممن تقدمت وفاتهم، وكان

(١) معرفة علوم الحديث، الحاكم، ص ٤٢.

(٢) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح، ص٢٧٣.

(٣) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي، ٢/٢٣٤.

(٤) التقييد والإيضاح، للعراقي ص ٢٧٤.

حرص التابعين على ترك المجال للصحابة وترأس التعليم جليًا لأنهم خير القرون، ثم إنه من كان حريصًا على الحديث لا يرضيه إلا السند العالي، فبدل أن يسمع الحديث من تابعي من أهل بلده، يرتحل إلى الصحابي، وعليه فقد كانت الراويات التابعيات المشهورات قليلات بالمقارنة بعدد الصحابيات. وخلال القرن الأول اشتهرت بعض الراويات من كبريات التابعيات نذكر المعروفات منهن:

- خيرة أم الحسن البصري (مولاة أم سلمة رضي الله عنها)[1].
- زينب بنت كعب بن عجرة[2]، (زوج أبي سعيد الخدري)، وجعلها الذهبي في الصحابة.
- صفية بنت أبي عبيد بن مسعود[3]، (زوج عبد الله ابن عمر).

---

(١) روت عن مولاتها وعائشة وروى عنها غير واحد، ذكرها ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبولة من الثانية، تهذيب التهذيب، ٤٢٢/٢، تقريب التهذيب ٥٩٦/٢.

(٢) روت عن زوجها أبي سعيد وأخته الفريعة بنت مالك، ذكرها ابن حبان في الثقات، وذكرها ابن الأثير: في الصحابة، تهذيب التهذيب ٤٢٢/٢، وقال عنها ابن حجر: مقبولة من الثانية، انظر: التقريب ٦٠٠/٢.

(٣) وهي أخت المختار الكذاب الثقفي، روت عن عائشة وأم سلمة والقاسم بن محمد بن أبي بكر وروى عنها غير واحد، قال العجلي: مدنية تابعية ثقة، وذكرها ابن عبد البر في الصحابة، أدركت النبي ﷺ ولم يصح لها منه سماع، وأنكر الدار قطني ذلك، تزوجت ابن عمر في خلافة أبيه، تهذيب التهذيب، ٤٣١/١٢، السير ٣٠٢/٣.

- زينب بنت نبيط[1]، (زوج أنس بن مالك).
- أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق[2]

وعلى الرغم من عدم توافر معلومات عن سنة وفاة كثير من الراويات في كتب التراجم، لكن من المؤكد أن هذه الطبقة لا تضم نساء كثيرات اشتهرن بالرواية، وذكرنا لهذه الأمثلة مع قلتها يشير إلى كثافة قليلة.

طبقات الراويات في القرن الثاني:

يعتبر هذا القرن الفترة الذهبية لرواية النساء غير الصحابيات، فمعظم روايات النساء المتوفرة في القرون الثلاثة الأولى تركزت في هذا القرن، ففيه أكبر عدد من الراويات، وجمع هذالقرن بين أواسط التابعيات وصغارهن في أوائل المائة الثانية الهجرية وبعد الخمسين والمائة الهجرية، وبين كبريات التابعيات وأواسطهن، أي أواخر المئة الثانية الهجرية[3].

١- طبقة أواسط التابعيات:

جمعت هذه الطبقة فضليات التابعيات ممن حمل عنهن العلم

---

(١) روت عن زوجها وجابر بن عبد الله، وضباعة بنت الزبير، ذكرها ابن حبان في الثقات في التابعين. وابن عبد البر في الصحابة، انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٢٣.

(٢) توفي أبو بكر وهي حمل فكانت في حجر أختها عائشة رضي الله عنها فتزوجها طلحة ابن عبيد الله، قال ابن حجر: ثقة من الثانية، تهذيب التهذيب ٢/٤٧٧.

(٣) انظر: مقدمة محقق كتاب التهذيب لابن حجر، لعبد الوهاب عبد اللطيف، التقريب، ١/ص (ب).

وعرفن بالفقه وكثرة الرواية، والملاحظ أن معظمهن من تلميذات عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن، ومن تبقت فهي تروي عن أحد أقاربها من الصحابة أو خليفة من الخلفاء وعاشت في الجزء الأول من القرن الثاني الهجري.

سيدات هذه الطبقة:

لم يختلف اثنان حول سيدات التابعيات[1]: حفصة بنت سيرين[2]، وعمرة بنت عبد الرحمن[3]، وثالثتهما أم الدرداء (الصغرى)[4]، وهن جميعًا من أواسط التابعيات.

وغير هؤلاء الفاضلات ممن أخذ عنهن العلم من المشهورات نذكر: عائشة بنت طلحة[5]، ومعاذة بنت عبد الله العدوية[6]،

---

(١) انظر: تدريب الراوي، ٢/٢٤٢، مقدمة ابن الصلاح، مع شرحها التقييد والإيضاح ص٢٨٣.

(٢) أم الهذيل، الفقيهة الأنصارية، ثقة، قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة وعاشت سبعين سنة، فضلها إياس بن معاوية «أحد التابعين توفي ١٢٠هـ» على الحسن البصري وابن سيرين أخيها، روت عن أم عطية وأكثرت عنها، عرفت بالزهد والعبادة، السير ٥/٥٠٧، طبقات ابن سعد ٨/٤٨٤، تهذيب الكمال ٣٥/١٥١.

(٣) مرت ترجمتها في المكثرين عن عائشة.

(٤) هجينة الوصابية الحميرية زوج أبي الدرداء، من أهل دمشق، قرأت على أبي الدرداء القرآن، وكانت في حجره تجلس معه في مجالس العلم وهي صغيرة، كانت فاضلة عالمة زاهدة، كثيرة العبادة كبيرة القدر، ويروى عنها الحديث الكثير، وكلامها مجموع في دواوين العلم، انظر: تهذيب الكمال ٣٥/٣٥٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٣٥.

(٥) ابن عبيد الله التيمية بنت أخت عائشة رضي الله عنها، كانت في حجرها وأكثرت عنها، تزوجت مصعب بن الزبير بن العوام، روى عنها الناس لعلمها وفضلها، وثقها ابن معين، بقيت إلى قريب من سنة عشر ومائة، السير ٣/٣٦٩-٣٧٠.

(٦) السيدة العالمة أم الصهباء، روت عن عائشة وعلي وهشام بن عامر، عرفت بالعبادة والعلم، وهي زوجة صلة بن أشيم، كانت من أهل البصرة، ثقة حجة، تهذيب التهذيب ١٢/٤٥٢.

وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[١]، وهن من التلميذات النجيبات لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفاطمة بنت المنذر[٢] روت وأكثرت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر.

هؤلاء هن أعمدة الرواية النسائية الثقات من الطبقة الوسطى من التابعيات، وأحاديثهن كثيرة في دواوين العلم.

● وتندرج تحت هذه الطبقة أيضًا عشرات الراويات من تلاميذ عائشة أم المؤمنين وأم سلمة وبعض الصحابة والصحابيات، تقل رواياتهن عمن سبق ذكرهن، وهن أقل شهرة من السابقات. نذكر منهن:

جسرة بنت دجاجة العامرية[٣]، مسة أم بسة[٤]، هند بنت الحارث الفزارية[٥]، أم جحدر العامرية[٦]، كريمة بنت همام[٧]، قمير

---

(١) زوجة المنذر بن الزبير، روت عن أبيها وعمتها عائشة، وأم سلمة، قال العجلي: تابعية ثقة، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين، انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤١٠.

(٢) ابن الزبير بن العوام الأسدية، زوجة هشام بن عروة، روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر وأكثرت عنها وأم سلمة وعمرة بنت عبد الرحمن، قال ابن حجر: ثقة.

(٣) الكوفية، روت عن أبي ذر، وعائشة وعلي وأم سلمة، قال العجلي ٢/٤٥٠: ثقة تابعية.

(٤) الأزدية، روت عن أم سلمة وعنها أبو سهل كثير بن زياد، قال ابن حجر: مقبولة من الثالثة.

(٥) كانت تحت معبد بن المقداد بن الأسود، كانت من صواحبات أم سلمة وروت عنها، ذكرها ابن حبان في الثقات، كانت تدخل على أزواج النبي ﷺ. قال ابن حجر: ثقة من الثالثة.

(٦) روت عن عائشة، قال فيها ابن حجر: لا يعرف حالها من الثالثة.

(٧) روت عن عائشة، قال عنها ابن حجر: مقبولة من الثالثة.

زوج مشروق بن الأجدع[1]، هند بنت شريك[2]، مية بنت الحارث ابن طفيل[3]، عائشة بنت عجرد[4]، نائلة بنت الفرافصة[5]، أم الكرام[6]..

٢- طبقة صغار التابعيات:

تجمع هذه الطبقة من تروي عن أحد صغار الصحابة ممن تأخرت وفاته، الحديث الواحد والاثنين فقط نذكر منهن: شعثاء بنت عبد الله الأسدية[7]، عقيلة الفزارية[8]، مغيرة بنت حسان[9]، أم عمرو بنت عبد الله بن الزبير[10]، حبيبة بنت ميسرة[11]، رقية بنت عمرو[12]، وغيرهن.

---

(١) بنت عمرو الكوفية، روت عن زوجها وعن عائشة، وعنها غير واحد منهم الشعبي وعبد الله ابن شبرمة، قال العجلي: تابعية ثقة، وقال ابن حجر مقبولة من الثالث، التقريب ٦١١/١٢.

(٢) ابن زبان البصرية، روت عن عائشة، قال عنها ابن حجر: مقبولة من الثالثة، التقريب ٦١٧/٢.

(٣) ابن الطفيل بن سخبرة الأزدي، أخت عون بن الحارث رضيع عائشة، يقال: هي أم عبيد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بابن أبي عتيق، انظر: التقريب ٤٤٢/٢.

(٤) روت عن ابن عباس، وروى عنها أبو حنيفة، انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٦٥.

(٥) زوج عثمان بن عفان، روت عن عائشة وأم سلمة وأم هلال بنت وكيع، ذكرها ابن حبان في ثقات التابعين، تعجيل المنفعة ٥٦٠.

(٦) تروي عن امرأة مليكة، لم أجد لها ترجمة، رحلت مع جدها إلى النبي ﷺ، تعجيل المنفعة، ص٥٦٧.

(٧) الكوفية، روت عن عبد الله بن أبي أوفى، قال ابن حجر: لا تعرف من الخامسة.

(٨) مولاة لبني فزارة، روت عن سلامة بنت الحرب، قال ابن حجر: لا يعرف حالها من الخامسة.

(٩) أخت حجاج بن حسان، روت عن أنس، روى عنها أخوها، وذكرها ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبولة، انظر: تهذيب الكمال ٣١٠/٣٥، التقريب ٦١٤/٢.

(١٠) ابن العوام القرشية الأزدية، روت عن أبيها، قال ابن حجر: مقبولة من الرابعة.

(١١) ابن أبي خيثم، أم حبيب، من موالي بني فهر، روت عن ام كرز وعنها مولاها عطاء بن أبي رباح، ذكرها ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبولة، التقريب ٥٩٤/٢، والتهذيب ٤٠٩/٢.

(١٢) وقيل: بنت عمر بن سعيد، روت عن ابن عمر، قال ابن حجر: مقبولة من الرابعة.

٣- طبقة كبريات تابعيات التابعين:

هذه الطبقة بالنسبة للرواة تضم أجلة العلماء الأفاضل كالإمام مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان الثوري وشعبة، أما بالنسبة للراويات فهذه الطبقة تفتقر إلى أسماء لامعة في عالم الرواية، ذلك أن حركة الرواية النسائية بدأت تقل وتتراجع. ومن صاحبات هذه الطبقة: أمة الواحد بنت يامين(١)، حبابة بنت عجلان(٢)، غبطة بنت عمرو المجاشعية(٣)، وعمتها أم الحسن.

طبقات الراويات في القرن الثالث الهجري:

اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أسعد عصور السُّنَّة وأزهاها وأحفلها بخدمة الحديث، فيه ظهر أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث وأئمة الرواية(٤)، وفيه ظهرت الكتب الستة التي لم تغادر من الحديث الصحيح سوى النزر اليسير، وفيه اعتنى أئمة السنة بالكلام على الأسانيد وتواريخ الرجال ومنزلتهم في الجرح والتعديل.. ولم يكن

---

(١) ابن عبد الرحمن بن يامين، أم يحيى بن بشير بن خلاد، روت عن محمد بن كعب القرظي، وعنها ابنها -سماه بقي بن مخلد في مسنده- قال ابن حجر: مجهولة من السابعة، التقريب ٢/٥٩٠.

(٢) البصري، روت عن أمها أم حفص روى عنها موسى بن إسماعيل، قال ابن حجر: لا يعرف حالها من السابعة، التقريب ٢/٥٩٤، تهذيب التهذيب ١٢/٤٠٧.

(٣) البصرية، حديثها في أهل البصرة، روت عن عمتها أم الحسن وعنها راويان، قال ابن حجر: مقبولة من السابعة، التقريب ٢/٦٠٨، تهذيب التهذيب ١٢/٤٤٠.

(٤) كالبخاري محمد بن إسماعيل، ومسلم بن الحجاج، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقبلهم إسحاق بن راهويه، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم كثير من أئمة المسلمين والعلماء البارزين أصحاب المصنفات القيمة.

العلماء في هذا القرن يدونون الأحاديث بالنقل من كتب أخرى، بل كان اعتمادهم على ما حفظوه عن مشايخ الحديث، وعرفوا جيده من رديئه، وصحيحه من ضعيفه[1].

ففي هذا الجو العلمي العالي، لا ريب أن المنافسة تكون على أشدها بين أصحاب الحديث، ويصبح الحفظ والإتقان مع التثبت عناصر أساسية في تقييم الراوي، وهمة المحدث العالية لا تقبل إلا بالأفضل، وعليه لا نستبعد أن ينتشر الإسناد بين الناس، بغض النظر عن صحته، فالقاص يسند، والتاجر في السوق يسند، كذا مختلف أصناف الناس.

لكن لا يأخذ المحدث الرواية إلا ممن عرف وخضع لمعايير وضوابط الرواية المقبولة.. ونحن نقول فيما يخص الرواية النسائية: إنها كانت ولا شك ظاهرة أيضًا، لأن البيئة العلمية آنذاك فرضت ذلك، وإن كنا لا نسجل وجود راويات ذوات أسماء لامعة في عالم الرواية، لأن أصحاب المصنفات الحديثية نخلوا الراويات نخلاً، وانتقوها انتقاءً، والمرأة الراوية غالبًا ما تكون أحوالها مستورة عن الناس، فلا يُعلم ضبطها وعدالتها بشكل واضح، كما يحدث عند الراوي، الذي يمكن أن يطلع على حاله، لهذا يصعب رصد أعداد كبيرة من راويات هذا القرن فضلاً عن بيان طبقاتهن.

(١) الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، ص ٤٢٣.

لكن من خلال تفحص كتب التراجم ومشيخات بعض الأئمة، عثرنا على بعض الأسماء النسائية، مع قلتها تشير إلى أن رواية المرأة دائمًا حاضرة وإن تأثرت بالبيئة في ازدهارها وجهودها، لكن الملاحظ أن الراويات اللائي أُخذ عنهن العلم لم يروين إلا القليل جداً من الأحاديث، ثم إن سنة وفاتهن غالبًا ما تكون مجهولة، ولم يتيسر تحديد القرن الذي وجدن فيه إلا من خلال من روت عنه ومن روى عنها، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة:

فاطمة بنت الإمام مالك بن أنس(١)، خديجة أم محمد(٢)، زينب بنت سليمان الهاشمية(٣)، زينب بنت سليمان بن أبي جعفر المنصور(٤)، أم عمر الثقفية(٥)، أسماء بنت أسد بن الفرات(٦)،

---

(١) وهي من رواة الموطأ، تحفظ علم أبيها، ذكرها القاضي عياض ضمن تلاميذ مالك، إلا أنه لم يذكر من روى عنها، كذا ابن عبد البر في «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد».

(٢) كانت تغشى أبا عبد الله أحمد بن حنبل وتسمع منه، وحدثت عن يزيد بن هارون، أحد الأئمة الحفاظ (ت٢٠٦هـ)، روى عنها عبد الله بن أحمد بن حنبل، انظر: تاريخ بغداد، ١٤/٤٣٥.

(٣) ابن علي بن عبد الله بن عباس، كانت من فضليات النساء، حدثت عن أبيها، وروى عنها عاصم ابن علي الواسطي، وكانت تدخل على المأمون، فيجلها وتحدثه عن أبيها، تاريخ بغداد، ١٤/٤٣٥.

(٤) حدثت عن أبيها، وروى عنها أخوها أبو يعقوب، انظر: تاريخ بغداد ١٤/٤٣٥.

(٥) بنت أبي الغصن حسان بن زيد الثقفي، حدثت عن أبيها وعن زوجها سعيد بن يحيى بن قيس، وروى عنها أحمد بن حنبل وغيره، قال عنها ابن معين: ليست بشيء، وقال أحمد: سمعت أنا منها إذ كانت تنزل بغداد، انظر: تاريخ بغداد ٤/٤٣٢.

(٦) من فواضل نساء عصرها في القيروان، نشأت نشأة حسنة، فكانت تحضر مجالس أبيها العلمية، وتشارك في السؤال والمناظرة حتى اشتهرت برواية الحديث والفقه على رأي أهل العراق أصحاب أبي حنيفة، توفيت سنة (٢٥٠هـ)، انظر: شهيرات التونسيات، حسني عبد الوهاب، ص٤٥.

صليحة بنت أبي نعيم الفضل بن دكين[1]، سمانة بنت حمدان -وهي بنت بنت الوضاح بن حسان- الأنبارية[2]، عبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن أبي قتادة[3].

ومن خلال هذا العرض لطبقات الراويات في القرون الثلاثة، نلاحظ:

١- كان مدار أحاديث النساء في عصر الصحابة حول أمهات المؤمنين، وخاصة أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة، تليهما أمهات المؤمنين: ميمونة، وأم حبيبة، وحفصة.

٢- ومدار أحاديث النساء في عصر التابعين عند تلميذات عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن جميعًا، وبعض من أكثرن الرواية عن الصحابيات كأم عطية التي تروي عنها التابعية المكثرة حفصة بنت سيرين، كذا أسماء بنت أبي بكر التي تروي عنها التابعية فاطمة بنت المنذر.

وما تبقى من التابعيات فرواياتهن لا تتعدى الحديث الواحد والاثنين، ترويه عن أحد أقاربها (أبيها، زوجها، عمّها...)، أحد الصحابة أو إحدى الصحابيات لكن من غير ملازمة لمن تروي عنه إن كان مكثرًا.

٣- لم تتراجع الرواية إلا بعد وفاة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا، وقد كن مزارة للنساء وملاذًا لطالبات العلم، إلا أن الرواية

(١) أبوها أحد الأعلام ثقة حجة توفي (٢١٨هـ)، انظر طبقات الحفاظ، للسيوطي ص ٦١٣، ذكرها الطبراني ضمن شيوخه في المعجم الصغير، ص ١٥٣، وسمع منها الطبراني سنة ٢٧٣هـ.

(٢) وهي أيضاً ممن حدث عنهم الطبراني في الصغير، وذكرها الخطيب في تاريخه، ص١٥٢.

(٣) حدث عنها الطبراني، وقال: كانت امرأة عاقلة فصيحة متدينة، وذكرها الخطيب في تاريخه،١٤/٤٤٢.

بقيت بكثافة أخف حتى ذهاب جميع صغار الصحابة ممن تأخرت وفاتهم، كأنس وعبد الله بن أبي أوفى، وابن عمر، وغيرهم. وكانوا البقية الباقية ممن رأى وصاحب وسمع سيد الخلق محمداً ﷺ.

٤- في جيل تابعيات التابعين، لا نرصد في رواية النساء ما يوحي بكثرة الطلب للرواية عندهن، فأغلبهن من المقلات جداً، أضف إلى ذلك عدم شهرتهن، الأمر الذي أدى إلى عدم ذكرهن في بعض كتب التراجم، ومن ذكرهن لا يزيد عن قوله في إحداهن: مجهولة أو لا يعرف حالها.. ومع تتبع رواية صاحبات هذه الطبقة، نجد أغلبهن يروين عمن حولهن من الأقارب ممن سمعن منه، ولا يكون إلا حديثًا واحداً في الغالب أو حديثين.

٥- أما القرن الثالث الذي شهد تدوين أمهات كتب الحديث، فقد سجل رواية ضئيلة للمرأة في جهود فردية، تكون خلالها المرأة راوية لأفراد من الأحاديث، سمعتها من بعض الشيوخ، إلا أن هذه الرواية لم تكن مشهورة.. وقد رأينا مثلاً أن فاطمة بنت الإمام مالك كانت تحفظ الموطأ لكن ما رأينا من روى عنها، مما يوحي أن الحركة العلمية النسائية كانت خلال هذا القرن بالذات قائمة كما سبق ذكره، على جهود فردية، الأمر الذي لم يسمح بازدهارها وانتشارها، خاصة أن حركة التدوين والتصنيف كانت قد بلغت الذروة، بعد أن اصطفيت الأحاديث ونقحت ولم يعتمد إلا ما توفرت فيه شروط القبول لدى مختلف المحدثين.

المبحث الثالث : رحلة النساء في طلب الحديث وأدائه

إن القرون الثلاثة الفاضلة، كانت الحقبة الذهبية لعلم الحديث، فيها انتشر حديث رسول الله ﷺ وعم جميع الأمصار، وفيها جمعت رواياته ودونت، كما صنفت أعظم كتب السنة على الإطلاق، وكان طلب الحديث شرف لا يدانيه شرف، واتخذت الرحلة وسيلة له، واعتبرت معيار الإتقان والتثبت، إذ كانت المشاق والمصاعب التي يكابدها الطالب في تلك العصور شهادة على أهليته وانتسابه إلى هذا العلم النبيل.

وقد ورد عن الزهري قوله: «الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال»[1].

والذكر في اللغة[2]: العظيم، ومن بين أسباب صعوبته الرحلة في طلبه، تلك المهمة الشاقة، حتى على الأجلاد من الرجال، لذلك لا غرابة أن يكون سهم المرأة المهتمة بالرواية ضئيلاً في هذه المنقبة -كما ذكرنا- إضافة إلى كونها راعية في بيتها، بنتًا كانت أو زوجاً أو أمًا، متحملة كافة مسؤولياته، فضلاً عن أن أسفارها ورحلاتها مرتبطة بتوفر السبل الشرعية الميسرة لها، وهذا ما يضاعف مشقة المهمة.

ولكن من خلال استنطاق النصوص المتوفرة لدينا من كتب التراجم والطبقات والتاريخ والسير، حصلنا على مجموعة لا بأس بها

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٣٥/٢، والكنى والأسماء، للدولابي.

(٢) راجع لسان العرب، لابن منظور ٣٩٨/٥.

من الحقائق، تنبئنا عن أحداث مهمة وحركات نشطة في مسألة الرحلة عند النساء، ولا ندعي أن هذه النصوص تعطينا التصور الكامل والشامل الذي تستشف منه دقائق الأمور، ولكن فيها الدلالة السريعة والقوة في آن واحد على أن المرأة لم تكن بعيدة عن رحاب الرحلة عبر هذه القرون، على تفاوت في الكثرة والقلة بين المراحل المختلفة.

١- الرحلة في عصر النبوة:

كانت الرحلة في طلب الحديث قائمة في عهده ﷺ، فكان بعض من يسمع بالرسالة الجديدة يسافر إلى الرسول ﷺ ليأخذ منه تعاليم الإسلام، ثم يرجع إلى قومه يبلغهم ما تعلمه في موطن رسول الله ﷺ[1].

فالرحلة في عهد الرسول ﷺ بهذا المفهوم كانت عامة، تشمل مبادئ الدين كلها قرآناً وسنة... فبعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أنحاء الجزيرة[2]، وكان عليه الصلاة والسلام يرحب بالوافدين، يزودهم بنصائحه وإرشاداته، ويعلمهم الإسلام، وتنبئنا

---

(١) كالأعرابي -مثلاً- الذي جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً...»، الحديث في البخاري، الحدود، باب: ما جاء في التعريض ٦٨٤٧، ٤/٢٦٢.

(٢) كما فعل ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر إلى النبي ﷺ سنة «٥» للهجرة، وفروة بن مسيك المرادي، فارق ملوك كندة، فبعد أن تعلم الإسلام استعمله الرسول ﷺ على مراد وزبيد ومذحج... وغيرها، ووائل بن حجر بن سعد من حضرموت... وغيرهم، قد خصص ابن سعد في طبقاته قسماً كبيراً في ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ بدأه بوفد مزينة، ووفد أسد، ووفد تميم، إلى أن انتهى بوفد جيشان ثم وفد السباع، وعدادها واحد وسبعون وفداً.

المصادر عن وجود نساء مصاحبات لتلك الوفود[1]، فكانوا يسألونه ويجيبهم، وقد سمعوا حديثه وشهدوا بعض مواقفه، وشاركوه في العبادة، ورأوا كثيراً من تصرفاته، فكان لهذه الوفود أثر عظيم في نقل السنة وانتشارها. وقد أسهب ابن سعد في طبقاته في ذكر من روت من النساء عن النبي ﷺ من مختلف القبائل. وذكر من جاءته للبيعة ونقلت عنه بعض الأقوال أثناء تلك الأحداث المهمة.. ولعل قصة الصحابية قيلة بنت مخرمة العنبرية[2] تعطينا تصوراً واضحاً عن قدوم النساء على النبي ﷺ وتحملهن عنه ﷺ، وقد كانت قيلة مع وفد بني بكر بن وائل برفقة وافدهم حريث بن حسان البكري.

وإن كانت هذه الوفود بنسائها رحلت للتحصيل والتعليم وأدت ثمار الرحلة، فقد شهدت أيضاً رحلات التبليغ والأداء، أو ما يسمى بالهجرة الأولى ثم الثانية إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة.. وإن كان الغرض من هذه الرحلات في أول الأمر الحفاظ على الدين، إلا أنها أصبحت فيما بعد، تؤدي أغراضاً علمية أيضاً.

---

(١) انظر: الإصابة، ترجمة زعلة القرشية ٤/٤٣١، أنها وفدت على النبي ﷺ وطلبت منه أن يعلمها شيئاً يقربها إلى الله تعالى، وانظر: ترجمة بهية في الإصابة ٤/٢٤٧، وفدت مع أبيها إلى النبي ﷺ وروت أحداث اللقاء.

(٢) العنبرية، لها صحبة، وهاجرت إلى النبي ﷺ هي ورفيقها وافد بني بكر بن وائل، وكانت تحت حبيب بن أزهر أخي بني حباب، فولدت له النساء ثم توفي عنها في أول الإسلام فانتزع بناتها منها عمهن، فخرجت تبغي الصحبة إلى رسول الله ﷺ، لها ترجمة في الطبقات، ٨/٥٠١.

الهجرة إلى الحبشة:

قد لقي أصحاب الرسول ﷺ من العذاب أمرًا عظيمًا في أول البعث، ورزقهم الله تعالى على ذلك من الصبر أمرًا عظيمًا، فلما كثر المسلمون واشتد العذاب والبلاء أذن الله تعالى لهم في الهجرة إلى أرض الحبشة، فكان أول من خرج من المسلمين فارًا بدينه إلى أرض الحبشة، عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ(١).. وتذكر لنا الكتب التي أرّخت لهذه الفترة أسماءً عديدة لنساء جئن برفقة أزواجهن أو آبائهن إلى الحبشة هربًا من البطش وحفاظًا على الدين(٢)، وكان النجاشي ملك الحبشة قد أسلم ولم يقدر على إظهار ذلك خوف الحبشة.

ولا نشك أبدًا في أن حركة الدعوة الإسلامية والعلمية كانت نشطة في الحبشة على أيدي المهاجرين من المسلمين، نساء ورجالاً، ثم إن هؤلاء الصحابة الكرام لم يكونوا في عزلة عما كان يحدث في مكة أولاً ثم في المدينة بعد الهجرة النبوية، ولا ريب أنهم كانوا متتبعين لكل ما يجري للمسلمين من أحداث كالغزوات، أو ما ينزل من القرآن، كذا السنن المحفوظة عنه ﷺ، ودليل ذلك أن النبي ﷺ كان

---

(١) جوامع السيرة، ابن حزم، ص٥٥.

(٢) فكان منهن: سهلة بنت سهيل، وأسماء بنت أبي بكر، أم المؤمنين أم سلمة، وأسماء بنت عميس، أمينة بنت خلف بن أسع بن عامر، وأم المؤمنين أم حبيبة، وأم المؤمنين سودة بنت زمعة، وغيرهن، انظر: جوامع السيرة، ص٥٧- ٦٣، سيرة ابن هشام ١/٣٤٧.

يرسل الهدايا إلى الملك النجاشي[1]، ثم أنه ﷺ بعث من يزوجه بأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها[2]، وفي هذا دلالات وإشارات تشهد وتؤكد أن الاتصالات بين المدينة والحبشة كانت نشطة، واستفاد منها المسلمون في التبليغ عنه ﷺ وإيصال تعاليمه إلى سكان البلاد في الحبشة[3].

٢- الرحلة بعد عصر النبوة:

رحلة الصحابيات: إن رحلة النساء أخذت شكل الأداء والتبليغ، وشكل التحمل والتحصيل المعروف بين المحدثين.

أ- رحلة الأداء والتبليغ:

تفرق علماء الصحابة، كذا الصحابيات، في البلدان، ينشرون الحديث ويروون السنن، وقد كان لرحلاتهم هذه أثر جليل في المحافظة على السنة وجمعها، وتأسيس مراكز علمية في مختلف الأمصار كانت منارات للعلم ومدارس تقصد لطلب الحديث.. ومساهمة النساء من الصحابة لا يستهان بها، فقد رحلت كبريات الصحابيات

(١) أن النبي ﷺ قال: «إني قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلة...» وهو أيضًا في الطبقات ٩٤/٨.، ومجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٩٨٨م، ١٤٧/٤.

(٢) بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية إلى النجاشي يطلب عليه أم حبيبة...»، أخرجه ابن سعد ٩٨/٨، ٩٩، المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ٢٢/٤، من طريق الواقدي.

(٣) كانت مدة إقامة بعضهم طويلة تستوجب هذا بحيث لم يرجعوا إلا بعد فتح خيبر، كما فعل جعفر ابن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس وغيرهم، وهناك من هلك بأرض الحبشة كفاطمة بنت صفوان الكنانية وأم حرملة بنت عبد الأسود، وريطة بنت الحارث بن حبلية وغيرها، انظر: جوامع السيرة ٢١٧-٢١٨.

إلى الأمصار، تحدث أهلها بما سمعته عن رسول الله ﷺ، أو رأته منه وفقهته عنه، منهن من أقامت حتى موتها في البلد الذي رحلت إليه، تعلم الرجال والنساء، تبث فيهم حديث رسول الله ﷺ وهديه.. ولقد كانت زيارة الصحابية لمدينة من المدن الإسلامية كافية لأن تجمع أهل المدينة كلها وخصوصًا من النساء، تشير الأصابع أن هذه صحابية تحدث عن رسول الله ﷺ.

ونذكر هنا بعض الصحابيات ممن انتقلن إلى الأمصار المختلفة.

١- **أم عطية الأنصارية**(١): كانت من فقهاء الصحابة(٢)، مروياتها رضي الله عنها كثيرة منثورة في الكتب الستة، وقد ذكر ابن عبد البر(٣) أن أم عطية تعد في أهل البصرة، وذكرت التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين أن أم عطية قدمت البصرة فنزلت قصر بني خلف(٤).. وفي البصرة اشتهرت أم عطية بفقهها وروايتها وفهمها للحديث النبوي وأحكامه، فكان لها الفضل في انتشار الأحاديث والأحكام، وكان أجلة التابعين(٥) يأخذون عنها الرواية والفقه.

٢- **أسماء بنت يزيد بن السكن**(٦): وهي ثالث امرأة راوية

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، تهذيب الكمال، الإصابة ٤٠٧/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣١٨/٢.

(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر، ٤٥١/٤.

(٤) هو قصر كان لعبد الله بن خلف في البصرة، انظر: تاريخ خليفة، ص١٨٤.

(٥) روى عنها ابن سيرين وأخته حفصة، وأم شراحيل، مولاتها، ... وعدة، تهذيب التهذيب.

(٦) مرت ترجمتها في مبحث الطبقات وهي أول من بايع رسول الله ﷺ ومعها كبشة بنت رافع.

للحديث بعد أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة[1] رضي الله عنهن، وقد عرفت أسماء برجاحة العقل، وكانت من فاضلات الصحابيات، كثيرة الدخول على أمهات المؤمنين، ملازمة للبيت النبوي، زد على ذلك حبها للعلم والسؤال[2]، وقد شهد لها ابن عساكر[3] بحسن الرواية.. تجمع مروياتها بين التفسير وأسباب النزول والأحكام والشمائل والمغازي والسيرة والفضائل.. شاركت في معركة اليرموك، ومن ثم ألقت رحالها في دمشق وأخذت تحدث بها.. ذكر ابن عساكر في تاريخه نقلاً عن أبي زرعة قال: «حدث بالشام من النساء أسماء بنت يزيد بن السكن...»[4].

٣- **أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها**: تكلمنا على مكانة أم المؤمنين عائشة بين الصحابة وأهمية ما حملته عن رسول الله ﷺ لدى من لازمه عليه الصلاة والسلام من الصحابة، فما بالك بمن لم يره ولم يسمع منه، فلا شك أن حلول أم المؤمنين بمصره حدث عظيم وشرف كبير يتسابق إليه الجميع، وهذا ما كان من أمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في دخولها البصرة مع طلحة والزبير رضي الله

---

(١) ذكرناها في المبحث السابق.

(٢) انظر: الإصابة ٤/٢٢٩، والاستيعاب ٤/٢٣٣، سير أعلام النبلاء ٢/٢٩٦.

(٣) تاريخ ابن عساكر -تراجم النساء- قال: «روت أحاديث صالحة». من مخطوطة مصورة من مكتبة بيشاور، باكستان، ص٥٣٢ب.

(٤) المصدر السابق.

عنهم للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه.. فرغم أن خروج أم المؤمنين كان للإصلاح ولإخماد الفتنة، وأنه عندما انتهت المعركة وحدث ما هو معلوم رجعت إلى المدينة، إلا أن المدة التي أقامتها رضي الله عنها في البصرة كانت كافية ليستفيد منها الناس رجالاً ونساء في سماع حديث رسول الله ﷺ وبيان أحكامه وقضاياه، وقد كانت فرصة لأهل البصرة وشرفًا أن تحل عليهم محدثة عصرها وحاملة لواء العلم، ورابع أكثر راوية لحديث رسول الله ﷺ.

فقد ورد في ترجمة صفية بنت الحارث: «أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نزلت عليها في قصر عبد الله بن خلف بالبصرة، فسمعت منها صفية ونساء أهل البصرة»[1].

ولم تكن عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين الوحيدة التي خرجت من المدينة بغية مصر من الأمصار، لسبب ما، وكان دخولها البلد الذي قصدته فرصة للتحديث عن رسول الله ﷺ، فقد رحلت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها إلى الشام لزيارة أخيها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو خليفة، وكانت رضي الله عنها تحظى بالإجلال والتقدير خاصة في خلافة أخيها، فبدهي أن يكون وجودها في الشام خبراً تتناقله الأفواه وتتحين له الفرصة للدخول عليها والسماع منها لمن اجتهدت في لقياها، أما لغيرها فرؤيتها رضي الله عنها تحسب لها

(١) تهذيب الكمال. ٢٠٩/٣٥.

وتسجل.. وقد ذكر ابن عساكر أم المؤمنين أم حبيبة ضمن من حدث من النساء في الشام[1].

فهذه أمثلة لصحابيات هن أكثر النساء حفظًا ورواية للحديث النبوي الشريف، ورحلن من المدينة للتحديث والتعليم، ودُونت أحاديثهن ضمن مرويات أهل البلدة التي رحلت إليها كل واحدة، فبدل أن يرحل إليها الناس، رحلت هي إليهم، وقدمت إليهم حديث رسول الله ﷺ دون عناء، وحققت لهم الإسناد العالي، ونشرت العلم والفقه، وتشرف من لم يتيسر له الخروج من بلده بالرؤية والسماع والالتحاق بركب التابعين والانتساب إلى أحسن القرون.

● **أمثلة أخرى:**

ورحلة النساء بهذا المنظور لا تقتصر على أسماء وأم عطية، فقد سجلت لنا المصادر أن عدداً كبيراً من الصحابيات روين عن رسول الله ﷺ وانتشرن في الأمصار، فقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل في (علله)[2] من روى من النساء عن النبي ﷺ من أهل الشام، وأهل البصرة، وأهل الكوفة.

فذكر من أهل الشام[3] غير أسماء: الصماء بنت بسر، أم الدرداء

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر. وذكر لها أحاديث عن النبي ﷺ.

(٢) العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٨م، ٣/٤٠٧، ٤٠٨.

(٣) أم الدرداء الكبرى: خيرة بنت أبي حدرد، لها صحبة، ماتت قبل أبي الدرداء وهي غير أم الدرداء الصغرى الفقيهة هجينة، انظر تهذيب الكمال ٣٥٢/٣، والإصابة ٢٨٨/٤.

الكبرى، وأم أيمن.. ومن أهل الكوفة[1]: ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ، وفاطمة بنت اليمان، أم سليمان بن عمرو بن الأحوص، أم الحصين الأحمسية يسرة، أم مسلم الأشجعية أخت عبد الله ابن رواحة، وقتيلة بنت صيفي، أم طارق مولاة سعد بن عبادة، سلامة بنت الحر، أم ورقة.

ثم أورد من روى عن النبي ﷺ من أهل البصرة[2]، فذكر: ميمونة بنت كردم، أم إسحق، أم عطية الأنصارية، قيلة، بهيسة، عجوز من بني نمير، عجوز من الأنصار، جدة حشرج بن زياد، امرأة خالد بن عبد الله بن حرملة.

(١) أم سليمان بن عمرو بن الأحوص، وهي أم جندب الأزدية، لها صحبة، وروت عن النبي ﷺ: «ارموا الجمرة بمثل حصى الخذف» أخرجه أحمد وابن سعد، انظر: الإصابة ٤/٤٢٠، والاستيعاب ٤/٤٣٠.
- يسرة: ويقال: أسيرة، أم ياسر الأنصاري، لها صحبة، أسلمت وبايعت، وكانت من المهاجرات، روت حديثًا واحدًا، الإصابة ٤/٤١٣.
- أم مسلم الأشجعية، لها صحبة، حديثها عند أهل الكوفة، الإصابة، ٤/٤٧٣.
- قتيلة بنت صيفي الأنصارية، وقيل: الجهنية، وكانت من المهاجرات الأول، لها حديث واحد، روى لها النسائي حديثها في قول: «ما شاء الله ثم شئت...» وسنده صحيح قاله ابن حجر، الإصابة ٤/٣٧٨، والطبقات ٨/٣٠٤.
- أم طارق: مولاة سعد بن عبادة، تروي حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ، انظر: الإصابة ٤/٤٤٩.

(٢) ميمونة بنت كردم بن سفيان اليسارية، يقال: الثقفية، لها صحبة، حديثها عند أهل البصرة، ولها حديثان حسب بقي بن مخلد، روى لها أبو داود وابن ماجه، تهذيب الكمال ٣٥/٣١٣، الإصابة ٤/٤٠١.
- أم إسحاق الغنوية، هاجرت إلى رسول الله ﷺ يروي عنها أهل البصرة حديثها فيمن أكل ناسيًا، غريب الإسناد، قاله ابن عبد البر، الاستيعاب ٤/٤١٥، انظر أيضًا: الإصابة ٤/٤١.
- قيلة: يوجد التيمية والخزاعية والأنمارية والكندية، فلا أدري أيهن المعنية هنا.
- بهيسة: لم أجد لها ترجمة في الصحابة ولعلها بهيسة الفزارية التي جعل لها ابن حبان صحبة، انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٠٥.

فهؤلاء النساء قد سمعن من رسول الله ﷺ بالمدينة، وصاحبنه، ثم توزعن في الأمصار حاملات معهن الموروث النبوي يبثثنه بين الناس علمًا وفقهًا.. ثم إن وجود صحابية في بلدة من البلدان يصبح وازعًا وفرصة للتحديث بما سمعت عن رسول الله ﷺ أو عن أحد الصحابة، إضافة إلى كون البيئة العلمية في المدينة آنذاك كانت لا تدانيها بيئة في أي مكان آخر، وبالتالي الصحابية التي لم تكن تعد من الراويات أو المكثرات في المدينة، يصبح أي قول سمعته منه ﷺ أو أي فعل رأته أو صفة خَلْقية أو خُلُقية له عليه الصلاة والسلام بالنسبة إلى أهل هذا البلد، خبرًا يأخذ بالألباب، ومن ثم تؤدي الصحابية واجب التبليغ، فتنفع من سمع، لأن الحديث عن رسول الله ﷺ دين ودين...

ويندرج تحت هذا أيضًا نساء الصحابة وبناتهم وأمهاتهم وجواريهم من الذين انتقلوا إلى الأمصار، سواء للفتوح أو للقضاء والتعليم... فقد ذكر العجلي: أنه خرج من المدينة قرابة ألف وخمسمائة من الصحابة، توزعوا في الأمصار[1]، فلا شك أن منهم صحابيات رأين النبي ﷺ وسمعن منه، أو تابعيات رأين صحابة كبارًا وسمعن منهم، ومع أن كتب التراجم والتاريخ لا تذكر إلا اليسير جدًا من أخبار هؤلاء النساء، لكن السير الطبيعي لحياتهن يلزم منه تضمن ما ذكرنا من أمر تحديثهن في البلدة التي انتقلن إليها.. وهكذا تتحقق

(١) العجلي. معرفة الثقات١/د١٥. وذكر السخاوي في فتح المغيث: أن بالشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ «وأنه نزل الكوفة من الصحابة ألف وخمسون منهم أربعة وعشرون بدريون... وأنه قدم حمص من الصحابة خمسمائة رجل». فتح المغيث. ١٢/١٢٣.

ثمار الرحلة ومقاصدها عرضًا واتفاقًا.

الرحلات العلمية والحج عند النساء:

منذ العهد النبوي كان الحج موسمًا سنويًا للعبادة من جهة وملتقى علميًا من جهة أخرى، فكان الناس رجالاً ونساء يترقبون الشهر الحرام حتى يلتقوا بمن يزودهم بالعلم ويفقههم في دينهم.

حجة الوداع:

كان لهذه الحجة أثر عظيم في نشر الحديث، حيث إنه حضر هذا الموسم خلق كثير جاءوا من مختلف النواحي، وقد وصل عددهم إلى أربعين ألفًا من رجل وامرأة[1]، حيث ألقى فيهم النبي ﷺ خطبة عظيمة جمع فيها أحكامًا غزيرة وسننًا كثيرة، ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الإسلام، ولكثرة الناس في ذلك اليوم، اتخذ ربيعة بن أمية ابن أبي الصلت مبلغًا عنه ﷺ[2]، وهي خطبة بيَّن فيها ﷺ مناسك الحج، فلم يترك شيئًا لم يكن بيَّنه للناس إلا بينه وأظهره، فكانت هذه الخطبة الحافلة في الجمع الحاشد من أكبر العوامل في ذيوع السنن الكثيرة بين القبائل.. وقد ساهمت المرأة المسلمة ممن حضر هذه الحجة وسمع الخطبة في تبليغ كلام المصطفى[3] متمثلة قوله عليه الصلاة

---

(١) فتح المغيث ٣/١٢١.

(٢) انظر: الإصابة ١/٤٩٣.

(٣) فقد نقلت أم الحصين الأحمسية روايات عن النبي ﷺ سمعتها منه في حجة الوداع. انظر: مسلم، الحج، رمي جمرة العقبة ببطن الوادي،٢/٩٤١، ثم إن هذه الصحابية رحلت إلى الشام فيما ذكره الإمام أحمد، فلا شك أنها امتثلت لدعوة النبي ﷺ بتبليغ الشاهد الغائب.

والسلام: «**فليبلغ الشاهد الغائب**»[1]، بعد أن انتقلت من موطنها وجاءت إليه ﷺ تنشد تعاليمه وهديه...

الرحلة وحج النساء بعد عصر النبوة:

عرفنا فيما سبق رحلة الصحابيات، شكلها، أغراضها، وفوائدها، بقي أن نعرج على دور الحج في الرحلة والعلاقة بينهما عند غيرهن.

كان الناس رجالاً ونساء يتوافدون إلى المدينة المنورة بعد أداء المناسك أو خلالها، يجتمعون إلى صحابة رسول الله ﷺ يسألون ويستفتون ويسمعون الحديث، وكانت نساء الأمصار يتحين الفرص للدخول على أمهات المؤمنين خاصة، إذ كانت حجراتهن رضي الله عنهن جميعًا لا تخلو من زائرات يردن السماع والفتوى، وكانت كبريات الصحابيات أيضًا مرجعًا هامًا للحديث لهؤلاء النساء الوافدات، فإذا علمنا أن أمهات المؤمنين لزمن الحصر في بيوتهن، أي في المدينة امتثالاً لقوله ﷺ: «**هذه ثم ظهور الحصر**»[2]، بعد أن حج بهن، إلا ما كان من عائشة في خروجها إلى البصرة، وأم حبيبة في زيارتها لأخيها في دمشق، فيلزم من هذا أن من روت عن بعض أمهات المؤمنين من غير سكان المدينة أو مكة أنها رحلت إليها، وخاصة إذا ثبت بالقرائن أن السماع كان أثناء الحج، أو أن الراوية تعدد إحرامها من بلدتها، مما يشير إلى وجود رحلات علمية كانت نشيطة أثناء

---

(١) تم تخريجه في التمهيد.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، فرض الحج، ١٤٣/٢، عن أبي واقد الليثي.

الحج، لاجتماع الناس من مختلف الأمصار واتصالهم بأصحاب رسول الله ﷺ، فلا غرابة في التركيز على المدينة، فقد كانت مركز الإشعاع العلمي الوحيد آنذاك، ومحط أنظار العلماء الرواة، يجدون بغيتهم في السماع والتثبت لدى من تحمل عنه ﷺ أولاً ثم من تحمل عن صحابته الأخيار رضي الله عنهم وخاصة أمهات المؤمنين، وبالتحديد من تأخرت وفاتهن كعائشة وأم سلمة.

ولبيان اقتران الرحلة بالحج وتلازمها، نورد هذه الأمثلة:

١- **أم سالم بنت مالك الراسبية البصرية**[١]، وهي تابعية من الثانية، قد أدركت أم المؤمنين عائشة وروت عنها، وفي تهذيب التهذيب وغيره[٢]: «أحرمت أم سالم من البصرة سبع عشرة مرة».. فهذه التابعية رحلت إلى الحجاز مرات عديدة، وتحملت عن عائشة رضي الله عنها، فلا نتوقف كثيراً لنجزم أن ذهابها المدينة كان أيضاً للعلم، والحج كان أنسب وقت للطلب، إذ كل عقبات التنقل بالنسبة للمرأة تذلل أثناء الحج، للتأهب العام الذي يكون الناس عليه للقيام بالشعائر، وتأمن المرأة من خلاله على نفسها، وتؤدي مهمتها العبادية أحسن أداء، فقد كان الحج بالنسبة لطلاب العلم المهتمين بالحديث خاصة ملتقى سنوياً للتحمل والأداء والحفظ والتثبت وحيازة العوالي من الأسانيد.

---

(١) روت عن عائشة، وكانت من العابدات، وذكرها الذهبي في المجهولات بسبب تفرد مولاها جعفر بالرواية عنها، وقال ابن حجر في التقريب: مقبولة.

(٢) تهذيب التهذيب ١٢/٤٧٠، وطبقات ابن سعد ٨/١٣٠، تهذيب الكمال ٣٥/٣٦٢.

٢- **جسرة بنت دجاجة**[١]: تابعية ثقة، روت عن أبي ذر سماعًا عن عائشة، كما روت عن علي بن أبي طالب، وأم سلمة رضي الله عنهم جميعًا.. وقد أخبرت جسرة عن نفسها أنها اعتمرت نحوًا من أربعين عمرة[٢]، ورأت أبا ذر بالربذة[٣]. فهذه الراوية التابعية جعلت من الأربعين عمرة التي أدتها بعثات علمية، تسمع من خلالها عمن لقيتهم من أصحاب رسول الله ﷺ في طريقها إلى البقاع المقدسة كالربذة عند سماعها أبا ذر، أو في مكة أو المدينة عندما سمعت من أم سلمة، وهي من أهل الكوفة. فأسفارها الأربعون وإن سميت عمرة فما هي إلا رحلات علمية في طلب الحديث.

● وقد روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خصوصًا في مواسم الحج جيل من النساء من مختلف الأمصار، ورواياتهن تشير إلى أن السماع أو اللقيا كانت أثناء مناسك الحج، أو أنهن دخلن عليها، وسألنها في مختلف القضايا.. ولا غرابة أن تكون معظم رواياتهن عن عائشة، حيث إن من رغب في حيازة علم ركز على أشهر حامل له، وهذا ما توفر فيها رضي الله عنها، وفي تلميذاتها من بعدها: عمرة بنت عبد الرحمن، وعائشة بنت طلحة، وغيرهما.

وهذه بعض النصوص التي تفيدنا في أمر سماع النساء في موسم الحج، أو انتقالهن إلى المدينة المنورة للزيارة.

---

(١) مرت ترجمتها في مبحث «طبقات الراويات».

(٢) تهذيب الكمال ١٦٨/٣٥، تهذيب التهذيب ٤٠٦/١٢، طبقات ابن سعد ٥٠١/٨.

(٣) الرَّبَذَة: من قرى المدينة، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢١٢/٣.

- ذقرة بنت غالب الراسبية البصرية[1]، أم عبد الرحمن بن أذينة قاضي البصرة، روت عن عائشة قالت: كنا نطوف البيت مع أم المؤمنين، فرأت على امرأة برداً فيه تصليب، فقالت: «اطرحيه، اطرحيه، فإن رسول الله ﷺ كان إذا رأى نحو هذا قَضَبه»[2].

● زينب امرأة قيس بن أبي حازم[3]: روت عن عائشة رضي الله عنها، وروى عنها زوجها قيس بن أبي حازم، وهو كوفي، ما كان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله ﷺ منه.. وامرأته وهي تروي عن عائشة، لا شك ذهبت إليها المدينة وسمعت منها هناك.

● وذكر ابن سعد[4]: أن تميمة بنت سلمة أتت عائشة في نساء من أهل الكوفة، قالت: «فسألتها امرأة منا: المرأة تصيب من بيت زوجها شيئاً بغير إذنه، فغضبت وقطبت وساءها ما قالت، وقالت: «لا تسرقي منه ذهباً ولا فضة، ولا تأخذي منه شيئاً».

● أم الكرام: حججت فلقيت امرأة بمكة كثيرة الحشم، ليس عليها حلي إلا الفضة، فسألتها، فقالت: «كان جدي عند رسول الله ﷺ وأنا معه وعلي قرطان من ذهب، فقال: **شهابان من نار**»[5].

---

(١) لها ترجمة في: تهذيب الكمال ١٦٨/٣٥، تهذيب التهذيب ٤١٧/١٣، والطبقات ٤٩٠/٨، ومعرفة الثقات، لابن حبان، ٢٢١/٤.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٤٩١/٨؛ والقضب: القطع.

(٣) ذكرها ابن سعد في الطبقات ٤٩٤/٨.

(٤) نفس المرجع السابق ٤٩٦/٨.

(٥) الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد، سوى ما ذكر في تهذيب الكمال، للحافظ أبي المحاسن الدمشقي، ترجمة رقم: ١٥١١، ٤٧٩/٢ - ٤٨٠.. قال ابن عبد البر: ليس إسناد حديثها بالقوي، وقد ثبتت الرخصة في ذلك للنساء (الاستيعاب، ٤٩٣/٤).

● وأم الدرداء الصغرى هجينة العالمة الفقيهة زوج أبي الدرداء، تروي عن عائشة أم المؤمنين [١]، ومن المعلوم أن عائشة لم تقدم دمشق أصلاً كما ذكر الذهبي في السير [٢]، وأن أم الدرداء كانت تقطن دمشق، وقد حجت سنة (٨٣هـ) بينما توفيت أم المؤمنين سنة (٥٨هـ) على الصحيح، فهذا يلزم منه أن تكون أم الدرداء رحلت المدينة في غير حج، وسمعت من أم المؤمنين عائشة.

ونصوص أخرى [٣] فيها دلالة على أن المرأة رحلت لحج أو زيارة فسمعت وروت، وروي عنها، ذكرنا ما يكفي منها لبيان أن الحج كان فرصة ثمينة للنساء للتحصيل والرواية.

وإن لم تشتهر رواية النساء في هذا، فلأن أصحاب الحديث لهم شروطهم في قبول الروايات واعتمادها، لكن متون الكتب غنية بمثل هذه النصوص التي قد لا تفيد طلاب الأحكام الشرعية والفتاوى، لكن هي قيمة جداً لمن يهمه سير الحياة العامة للمسلمين في تلك العهود.. وباستنطاق هذه النصوص، لا شك نحصل على شكل

---

(١) انظر: تهذيب الكمال، المزي ٣٥/٣٥٣.

(٢) انظر: السير، للذهبي ٣/١٩٣.

(٣) صخيرة بنت جيفر من أهل البصرة دخلت على صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها وروت عنها حديثًا عن النبي ﷺ في نبيذ الجر...» ذكرها ابن سعد في طبقاته، ٨/٤٨٢.

- ودخلت نسوة من أهل حمص على عائشة فقالت: «ممن أنتن؟ فقلن: من أهل الشام، فقالت: لعلكن من الكورة التي يدخل نساؤها الحمامات؟ فقلن: نعم»، أخرجه أبو داود، كتاب الحمام.

- العالية بنت أيفع بن شراحبيل، امرأة أبي إسحاق السبيعي، دخلت على عائشة وسمعت منها وكانت من أهل الكوفة، انظر: الطبقات، لابن سعد ٨/٤٨٨.

الحركة العلمية والاجتماعية.

ثم نلاحظ أن الرحلة في بادئ الأمر، اقتصرت على المدينة لفضلها ومدار العلم فيها على أمهات المؤمنين وأصحاب رسول الله ﷺ من النساء والرجال، ثم كان أن انتشر كثير من الصحابة عبر الأمصار خاصة المشتغلين بالرواية والتعليم، ثم بعد وفاة أمهات المؤمنين أي ما بعد (٦٢هـ)، نلاحظ أن الرواية بدأت في التخصص، نقصد بذلك أنه أصبح هناك مراكز علمية غير المدينة كالكوفة، لأن فيها أصحاب عبد الله بن مسعود، والبصرة لأن فيها أصحاب أنس بن مالك، والشام لأن فيها أصحاب معاذ بن جبل وأبي الدرداء، ومصر فيها أصحاب عبد الله بن عمرو بن العاص، فبدأ يحدث نوع من التوازن في الرواية، وخف التركيز في الطلب على المدينة إلا لمن علت همته وطمحت نفسه إلى الإسناد العالي أو بيان علة أو التحقق من رواية.. وعلى هذا، طبيعي أن تخف الرحلة وخاصة لدى النساء، لوجود ما يغني من حديث رسول الله ﷺ في مصرهن.

وشيء آخر يفسر تراجع الرحلة لدى النساء في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث، أن هذه الفترة بالذات هي عصارة الجهود الأولى، وذروة الجمع والتدوين والتصنيف، وكان روادها الجهابذة من الحفاظ، الأمر الذي لم يترك مجالاً للنساء، خاصة وأنه لم تنجب لنا الأمة فيما بعد من كانت مثل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فطبيعي أن تضمر الجهود البسيطة لصالح الجهود الجبارة.

المبحث الرابع: دور المرأة في روايات الكتب الستة

بذل علماء الحديث الأفذاذ جهوداً جبارة في جمع السنة وتدوينها، والحكم على رواياتها، وصنفوا لنا في ذلك العديد من التصانيف، من المسانيد والمجامع والسنن وغيرها، كانت بحق كنوزاً للسنة.. غير أن الكتب الستة، حظيت بالرضا والقبول لدى الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا، لذلك توفرت على دراستها والعناية بها وخدمتها لتأخر عهد أصحابها ومعاصرتهم حركة التدوين وهي في أوجها، وقبل هذا وذاك لقيمتها الحديثية وحسن الترتيب فيها، لذلك آثرنا الاعتماد على هذه الكتب في هذا المبحث، لبيان جهود المرأة في الرواية ونقل أحاديث النبي ﷺ ونشرها، وليس غرضنا الحصر والاستيعاب بقدر ما نهدف إلى إجلاء القدر الكافي الذي يبرز لنا المساهمة التي قدمتها المرأة المسلمة على مدى القرون الفاضلة الأولى في الحفاظ على الموروث النبوي، بعد أن عرفنا حظها ومشاركتها في وضع ركائز الإيمان والعمل الصالح والدعوة، وتأسيس الأطر الأخلاقية.

ولتحقيق هذا المراد، استلزم النظر في الأسانيد، والوقوف على دور المرأة راوية للحديث النبوي، وتحديد حقل البحث في الأصول الستة[١]

---

(١) وهي: الجامع الصحيح للبخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن النسائي، وسنن ابن ماجه، فقط فلا يدخل ما ألفوه خارج هذه الكتب كالأدب المفرد للبخاري، والشمائل للترمذي، وعمل اليوم والليلة وغيرها من مؤلفاتهم، فهذه لا تدخل في حقل بحثنا.

ثم متابعة روايات النساء عبر مختلف الكتب والأبواب منتهين إلى تكوين صورة عن حجم رواية النساء ومضامينها وقيمتها الحديثية والفقهية، مع بيانٍ لسير حركة الرواية عند المرأة عبر هذه القرون.

وتوضيح هذه العناصر يكون عبر المطالب التالية:

المطلب الأول: الراويات في الكتب الستة

١- عددِ الراويات الصحابيات في الكتب الستة[١]:

يبلغ مجموع من لها رواية من الصحابيات في الكتب الستة جميعها سواء من روت عن النبي ﷺ مباشرة أو من روت عن أحد الصحابة، مائة وخمس عشرة صحابية ثابتة الصحبة، ونضيف إليهن خمس صحابيات راويات مختلف في صحبتهن، وهن: أسماء بنت زيد ابن الخطاب[٢]، أسماء بنت سعيد بن زيد بن نفيل[٣]، صفية بنت الحارث بن طلحة العبدرية[٤]، عائشة بنت مسعود بن الأسود[٥]، زينب بنت نبيط[٦]، إلا أنه ليس لواحدة منهن رواية عن النبي ﷺ..

(١) اعتمدنا في بيان أعداد الراويات على تحفة الأشراف للمزي وتقريب التهذيب لابن حجر مع تهذيب الكمال للمزي.

(٢) العدوية، ويقال إن لها صحبة، انظر: التقريب ٥٨٩/٢.

(٣) روى لها الترمذي وابن ماجه ولم تسم لها صحبة، التقريب ٥٨٩/٢.

(٤) روت عن عائشة، ذكرها ابن حبان في التابعين، وجعلها ابن حجر في الصحابة، التقريب ٢٠٣/٢.

(٥) يقال لأبيها مسعود بن العجماء لها رؤية، لأن أباها استشهد بمؤتة، التقريب ٦٠٦/٢.

(٦) زوج أنس بن مالك: يقال لها صحبة، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين، التقريب ٦٠٠/٢.

أما صفية بنت شيبة، فقد أنكر الدارقطني إدراكها[1]، وفي البخاري التصريح بسماعها عن النبي ﷺ[2].

أما الحافظ المزي وهو يذكر مسانيد الصحابة في تحفة الأشراف، فقد ذكر مائة واثني عشر مسنداً لصحابيات يروين عن النبي ﷺ في مجموع الكتب الستة[3].

أما متفرقة، فقد جاءت حسب ما يلي:

- روى البخاري عن إحدى وثلاثين صحابية في جامعه الصحيح.
- روى مسلم عن ست وثلاثين صحابية في جامعه الصحيح.
- روى أبو داود عن خمس وسبعين صحابية في سننه.
- وروى الترمذي عن ست وأربعين صحابية في سننه (الجامع).
- وروى النسائي عن خمس وستين صحابية في سننه (المجتبى).
- وروى ابن ماجه عن ستين صحابية في سننه.

الملاحظ أنه يوجد بعض التفاوت بين أصحاب الأصول في إخراجهم عن الصحابيات قد يصل إلى أكثر من الضعف، كما هو الحال عند أبي داود حيث روى عن أكثر الصحابيات، كذا بالنسبة

---

(١) انظر: التقريب ٢/٣٠١.

(٢) البخاري، النكاح، من أولم بأقل من شاة، ٣/٢٨٠، عن صفية بنت شيبة.

(٣) بما فيهن المبهمات ممن لم تتكرر حيث وجدنا أربعة عشر صحابية تروي عن النبي ﷺ. انظر: الجزء ١٣ من تحفة الأشراف، ص «١١١-١٢٩» مع الأحاديث التي روين.

للنسائي وابن ماجه ويليهم الترمذي، وكون من التزم الصحة كالبخاري ومسلم لم يرويا عن كثير من الصحابيات، فلأنهما لم تصلهما عنهن أسانيد يرضيانها وترتقي إلى الشروط التي التزماها في إخراج الحديث.

٢- عدد الراويات غير الصحابيات في الكتب الستة:

سجلنا عدد الراويات غير الصحابيات في مجموع الكتب الستة، فكان مائة وثلاث راويات موزعات على الطبقات:

- ثمان راويات من كبار التابعيات (أي الطبقة الثانية).
- ستًا وأربعين راوية من الطبقة الوسطى من التابعيات (أي الطبقة الثالثة).
- ثلاثًا وعشرين راوية من الطبقة الرابعة.
- خمس راويات من الطبقة الخامسة.
- عشر راويات من الطبقة السادسة.
- عشر راويات من الطبقة السابعة.
- وراوية واحدة من الطبقة الثامنة هي طلحة أم غراب.

ثم تتوقف رواية النساء بعد هذه الطبقة، فلا نسجل راوية واحدة عبر الطبقات الأخيرة المتبقية حتى نصل إلى الشيوخ الستة.

فكما سبق وأن لاحظنا في مبحث الطبقات، أن عدد الراويات يقل تدريجياً مع القرون حتى يندر أن نسجل راوية واحدة في القرن

الثالث.. وبالنسبة للأصول الستة، ولما كان حقل البحث محدوداً بها، أمكن إعطاء أرقام دقيقة إلى حد بعيد تؤكد تراجع حركة الرواية عبر القرون، فمجموع الراويات غير الصحابيات خلال هذه القرون، لم يصل إلى عدد الراويات الصحابيات.

كما أن توزيع الراويات عبر الطبقات، يشير إلى عدم توازن نشاط الرواية النسائية في مختلف الحقب الزمانية، حيث اتبعت خط التراجع والانحدار إلى أن نصل إلى الانعدام، والأرقام التي ذكرنا في كل طبقة تؤكد هذا.

٣- أحوال الراويات في الكتب الستة:

لا تدخل الصحابيات رضوان الله عليهن جميعًا في نطاق هذا البحث، لثبوت العدالة لهن جميعًا، سواء من روت عن النبي ﷺ أو روت عن غيره، وهذا بإجماع الأئمة[١].

أما بالنسبة لغيرهن، فالصفة التي تختص بها الراوية في هذه الأصول من جرح أو تعديل لا تخرج عن هذه الأحوال:

ثقة، مقبولة، لا يعرف حالها (مستورة)، مجهولة.. فهناك:

- خمس عشرة راوية ثقة، أغلبهن من الطبقة الثانية والثالثة.
- وثلاثًا وثلاثين راوية مقبولة.
- وما تبقى فهي إما لا يعرف حالها (مستورة) أو مجهولة.

(١) اختصار علوم الحديث (مع شرحه الباعث الحثيث) لابن كثير، ص١٧٢.

وقد ذكرنا هذه الأعداد فقط، لنلاحظ كثرة الراويات المستورات والمقبولات[1]، وهذا راجع إلى كون أحوال النساء مستورة عند من صنفوا في الرجال.. فلما خفي على هؤلاء أحوال قعيدات البيوت، سرت عليهن ضوابط معرفة الرواة، فكانت شديدة عليهن، خاصة على من لم ترو إلا القليل جداً من الأحاديث، ولم تكن مشهورة بالطلب.

أما الراويات الثقات، فهن ممن اشتهرن بعلمهن وفضلهن وكثرة روايتهن.. وما يلاحظ أيضاً أننا لم نسجل راوية واحدة تنزل عن المرتبة التاسعة (أي مجهولة)، كما نلاحظ ذلك عند الرواة الرجال، وقد سبق أن أشرنا إلى قول الذهبي في الميزان[2]في عدم وجود راوية اتهمت أو تركوها، وهذا ما يكسب المرأة ميزة تحسب لها في عالم الرواية، تبين نقاء الراوية من شوائب البدع والكذب والضعف الشديد والنكارة.

حجم رواية النساء في الكتب الستة:

استناداً إلى كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، مع الرجوع إلى كتاب تهذيب الكمال في معرفة الرجال للمزي أيضاً، والتقريب لابن حجر[3]، تمكنا من تسجيل:

---

(١) كثيرات من جعلهن ابن حجر مقبولة، لكنهن مجهولات مثلاً عند الذهبي، وهذا راجع إلى أن معظمهن لم يرو عنهن إلا راو واحد.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، المكتبة الأثرية سانكله هل «شيخوبوره». دون ذكر الطبعة، ٤/٦٠٤.

(٣) حاولت أن أتحرى الدقة في إحصاء الأحاديث من تحفة الأشراف أولاً ثم الرجوع إليها في الأصول ـ

ألفين وسبعمائة وأربع وستين رواية للنساء في مجموع الكتب الستة (٢٧٦٤ حديثًا) حيث وجدنا :

– ألفين وخمسمائة وتسعة وثلاثين حديثًا للصحابيات الراويات .

– مائتين وخمسة وعشرين حديثًا لسائر الراويات من غير الصحابيات .

وبينما تروي الأربع وثمانون راوية غير صحابية من مختلف الطبقات (٢٢٥ حديثًا)، تروي المائة والاثنتا عشرة صحابية (٢٥٣٩ حديثًا) . . ولمستدرك أن يقول : إن معظم الروايات عند الصحابيات هي في الحقيقة لراوية واحدة هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث تروي في مجموع الكتب الست (٢٠٨١ حديثًا)، فنقول : إننا إذا حذفنا هذا القدر، أي روايات عائشة ليبقى العدد (٤٥٨ حديثًا) ترويها بقية الصحابيات، يكون اختلال في توازن حجم الرواية، حيث تتكثف في مدة قصيرة هي عصر الصحابة لتضمحل خلال القرون اللاحقة .

وملاحظة جديرة بالذكر، هي أن الألفين والواحد والثمانين حديثًا المروية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لم ترو منها تلميذات عائشة الأربع والثلاثون سوى (١٤٦ حديثًا تقريبًا)، وهذا قدر ضئيل جدًا، نفسره كما يلي :

— الستة للتأكد منه. لكن لا أدعي الاستيعاب الكامل في هذا الإحصاء. وهذا راجع إلى أن النسخ المتوفرة لدي فيها أخطاء كثيرة. ولكن مما هو مؤكد أن الأعداد التي ذكرتها ليست بعيدة جدًا عن الصحة. وهي تعطينا الصورة المراد إبرازها عن مساهمة المرأة في الرواية في الكتب الستة.

١- أن أم المؤمنين عائشة كانت فريدة عصرها، بل كل العصور، ولعل من المستبعد أن توجد من تضاهيها في علمها وحفظها (ولم توجد).

٢- أن أصحاب الحديث ممن صنفوا في هذا الفن، لم يعتمدوا على كثير من روايات النساء، لأنها لم تصلهم عن طرق يرضونها.

٣- أن الحركة العلمية لدى النساء كانت محدودة جداً وغير مشجَّعَة على نطاق واسع بين النساء، خاصة في فترة وجود أكبر المحدثات عائشة رضي الله عنها، وهذا ما نرجحه لتفسير هذا التراجع والزهد في المساهمة في هذا العلم.

المطلب الثاني: مضامين رواية النساء في الكتب الستة:

كانت المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ شديدة الحرص على تحصيل العلم الذي ينفعها في معرفة أحكام دينها وكيفية أداء واجباتها في علاقتها مع ربها ودورها في مجتمعها. وقد رأينا إقبال النساء على حضور مجالس الرسول ﷺ حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن طلبن منه ﷺ أن يعين لهن جلسات خاصة بهن، يسألنه عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام[١] وسجل هذا التنافس الذي عرفته المرأة المسلمة، شاهد على المرتقى العلمي الذي بلغته خاصة في رواية

(١) مر تخريج ذلك.

أحاديث المصطفى ﷺ، وهي رواية اتسعت لتشمل الأحاديث التي تمس شتى مناحي الحياة، ما تعلق مباشرة بشؤون المرأة أو غير ذلك، مع تفاوت في كثرة روايتها في أبواب وقلتها في أخرى وندرتها في الثالثة وانعدامها في الرابعة، وكل هذا في حقل الكتب الستة المختارة.

١- رواية النساء في الأحكام:

ليس غريبًا أن تكون معظم روايات النساء ترتكز حول الأحكام، بمختلف فروعها، سواء في العبادات، أو المعاملات، أو الأحكام المتعلقة بالآداب العامة كالطعام والشراب واللباس والاستئذان، وما تعلق بضوابط أفعال العباد في حياتهم، حيث إن هذه الأحكام هي المراد الأول من التعلم، ولا تتم معرفة الدين إلا من خلال معرفة أحكامه، لامتثالها والالتزام بحدودها.

وقد سبق أن لاحظنا في مبحث أمهات المؤمنين، أن معظم رواياتهن تتعلق بالأحكام وما ارتبط بالحياة العملية. وهذا يصدق على باقي الصحابيات أيضًا، بحيث تغلب على رواياتهن القضايا التي ارتبطت بها أحكام، وخاصة ما كان في قضايا النساء. ولما كان الحديث يرد أحيانًا في باب من أبواب الأحكام ويرد أيضًا في المناقب مثلاً أو غيرها، يصعب إعطاء أرقام دقيقة حول حجم رواية النساء في الأحكام، لكن لا نتوقف كثيرًا بعد الإطلاع على مسانيد الصحابيات من تحفة الأشراف لنجزم أن رواية النساء يغلب عليها ذكر الأحكام، خاصة في أبواب الطهارة، الحيض، الصلاة، أحكام الصوم، المناسك، الطلاق،

الزواج، الرضاع، الأطعمة، اللباس، الأشربة، وغيرها، دون أن ننسى روايات أم المؤمنين عائشة التي كادت تغطي جميع أبواب الفقه.

٢- رواية النساء في غير الأحكام:

مع كون روايات النساء في غير أبواب الأحكام قليلة، إلا أنها روايات لها قيمتها، وهي غالبًا ما تكون عمدة في بابها، وسنفصل قليلاً في هذا المطلب:

فقد روت المرأة في الفتن وأشراط الساعة، واشتهرت روايتها، كما فعلت الصحابية أم شريك وهي تروي حديث: «**ليفرّن الناس من الدجال في الجبال**»[١].. وعن النساء وصلتنا أحاديث في يأجوج ومأجوج[٢]، وفي ذكر الجيش الذي يخسف به[٣]، «**ولا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه**»[٤] وأحاديث أخرى.

كما ساهمت الراوية أيضًا في أبواب التفسير بما أثر عن النبي ﷺ في كيفية قراءة آية وبيان معانيها، وذكر أسباب نزولها.. .إلخ، علمًا منها أن كتاب الله الكريم مكمن الأحكام ومحل الهداية. وقد أخذت

---

(١) رواه مسلم، الفتن وأشراط الساعة، بقية من أحاديث الدجال، ١١٤/٤

(٢) البخاري، الفتن، قوله ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ٢٠٧/٣، عن زينب بنت جحش.

(٣) مسلم، الفتن، وأشراط الساعة، عن أم المؤمنين أم سلمة.

(٤) البخاري، الفتن، لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ٧٠٦٨، عن أم سلمة.

أم المؤمنين عائشة حصة الأسد في الروايات المتعلقة بالتفسير، إضافة إلى مرويات صحابيات أخريات مثل: أسماء بنت يزيد بن السكن، تروي في القراءات والتفسير، والتابعية معاذة العدوية تروي عن عائشة في التفسير، كذا عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة، وأم سعد بنت سعد بن الربيع تروي في القراءات، وغير ذلك.

وفي أبواب العقائد، روت المرأة في القدر وبدء الوحي، والإيمان وغيرها، وهنا أيضاً برزت أم المؤمنين عائشة في الرواية في هذه الأبواب.

كما برزت المرأة في الرواية في المناقب، فروي لها في مناقب الصحابة، وهجرة النبي ﷺ كثير من الروايات، مثل ما ورد في ذكر عمار بن ياسر، وفي هجرة النبي ﷺ وأصحابه، وفي فضل علي وفضل أصحاب الشجرة، وأصحاب السفينتين (مهاجري الحبشة)، وفضائل المدينة وغيرها.

المطلب الثالث: رواية المرأة عمدة في بابها:

إن الأحاديث الكثيرة التي روتها النساء، وكانت مادتها تتعلق بجميع أمور الحياة من العقائد والعبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية والآداب وغيرها، قد اشتركت في نقلها إلى الناس مع الرجل شعوراً منها بمسؤولية التبليغ والأداء. غير أن المدونات الحديثية سجلت لنا سنناً وأحاديث لا يعرف أنه قد رواها إلا النساء، فكانت مرجعاً في الاستدلال الفقهي ووضع القواعد والأصول، فكم من حكم قضي به بناءً على حديث امرأة، وكم من سنة اتبعت ووراءها امرأة.

ومن الأحاديث التي لا يعرف أنه قد رواها إلا النساء، حديث الفريعة في سكنى المتوفى عنها زوجها[1]، وقد تفردت التابعية الجليلة زينب بنت كعب بن عجرة برواية هذا الحديث عن الفريعة، وتلقاه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقبول وقضى به بمحضر من المهاجرين والأنصار[2]، وأخذ به العلماء، واستعمله أيضًا أكثر فقهاء الأمصار وتلقوه بالقبول، وقضوا به.. فهذا محمد بن سيرين يقضي في امرأة توفي عنها زوجها وهي مريضة، نقلها أهلها، أن ترد إلى بيتها في نمط[3]، وكان حجة ردها إلى بيت زوجها حديث الفريعة.. وهكذا ظلت الصحابية الجليلة مرجعًا في هذا الباب لكبار الصحابة والتابعين، يسألونها عن حكم رسول الله ﷺ، كما ظل حديثها عمدة المحدثين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

● وممن حظي بهذا الشرف أيضًا، فكانت قصتها حديثًا يروى وسنة متبعة، وحكمًا يقضى به، فاطمة بنت قيس فيما روته عن النبي ﷺ في نفقة وسكنى المبتوتة[4]، وقد أخذ كبار التابعين هذا الحديث من فم فاطمة وتناقلوه عنها وارتبط باسمها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما عقد العلماء والفقهاء لهذا الحديث نقاشات

(١) رواه أبو داود، الطلاق، المتوفى عنها زوجها تنتقل، ٢/٣٠٠.
(٢) الطبقات، لابن سعد ٣٦٧/٨
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ٥/٦٠٩.
(٤) مسلم، الطلاق، المطلقة البائن لا نفقة لها، ٢/١٢٨٢، كما رواه أصحاب السنن.

كثيرة في الحكم المستنبط منه، وذهبوا في ذلك مذاهب، ومرجعهم في ذلك قصة فاطمة بنت قيس.

● وسنن كثيرة تعلقت بأحكام النساء فاهتمت برواياتها، فاشتهرت عن طريقها، فعرفت أحكام وآثار قيمة لولا النساء ما وصلت إلينا.

● وقد تبلغ الراوية الذروة في الوعي والحفظ والأداء عندما تنفرد وحدها برواية حديث الجساسة الطويل وصفة خروج الدجال[١]، كان النبي ﷺ قد حدث به في المسجد حيث الحشود من النساء والرجال، بعد أن نودي للصلاة جامعة، فرغم طول الحديث ودقة ما فيه من صور ومشاهد وغرابتها، إلا أنه لم يصلنا إلا من طريق امرأة هي فاطمة بنت قيس مرة أخرى، فهذا إن دل على شيء فهو دال على المقدرة العجيبة لحفظ الراوية وذكائها وعلمها وإجادتها لما سمعته، كما فيه الدلالة الواضحة على حضور النساء في كافة المجالس، واهتمامهن بكل القضايا، منهن من يسعفها حفظها فتروي، ومنهن من تكتفي بالدروس والعبر المستنبطة، تستفيد منها.

● وأحاديث أخرى كثيرة، وإن كنا لا نجزم بتفرد النساء بروايتها دون الرجال، لأنها من القضايا المشتركة بين المسلمين، إلا أن رواية النساء فيها أصل وعمدة في بابها، إشارة في ذلك أن عالم الرواية علم بحره واسع، يخوض فيه كل من له قدرة عليه، والاعتماد بعد ذلك

---

(١) أخرجه مسلم، الفتن وأشراط الساعة، قصة الجساسة، ٤/٢١١٥، عن فاطمة بنت قيس.

على الأتقن والأجود، وفيه أيضًا أن نساء الصدر الأول رضي الله عنهن اكتسبن من الثقة النفسية والمبادرة وحب العلم ما جعلهن مرجعًا محترمًا، وأحيانًا في كثير من القضايا الخاصة والعامة.

● فحديث أم عطية رضي الله عنها في غسل الميت[1] أصل في الباب، لذلك كان جماعة من الصحابة والتابعين يأتونها فيأخذون عنها الحديث، لحسن روايتها وفهمها للأحكام، وكانت قد غسلت بنات النبي ﷺ زينب وأم كلثوم، والنبي ﷺ يوجهها ويرشدها خطوة خطوة حتى استوعبت تمام الفعل والقول النبوي وبرعت فيه، فكانت تغسل الميتات لاختصاصها في هذا المجال ودرايتها فيه.

وفي البصرة اشتهرت أم عطية بفقهها وفهمها للحديث النبوي وأحكامه، فكانت مقصد الرجال والنساء يأخذون عنها الأحاديث العديدة، وحديثها في غسل آنية رسول الله ﷺ مشهور في الصحيح، إذ كان محمد بن سيرين وغيره يأخذون عنها هذا الحكم. وحديثها في خروج الحيّض وذوات الخدور إلى صلاة العيد كان مرجعًا، حتى إن التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين تلميذتها النجيبة، كانت تقول: إنهن في البصرة كن يمنعن ذوات الخدور من شهود العيد، حتى أتت أم عطية البصرة فبينت لهن سنة رسول الله ﷺ في خروج النساء للعيد، حتى أخبرتهن أن التي لا تجد جلبابًا تعيرها أختها جلبابها،

(١) أخرجه البخاري، الجنائز، غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، ١٥٣/٢، عن أم عطية.

حتى تتمكن من شهود هذا الخير، الأمر الذي استغربته حفصة لعدم بلوغها هذا الحكم وهي سيدة التابعيات حتى جاءت أم عطية البصرة[١] وبثت فيها أحكام النساء المتعلقة بهذا الباب، ثم خلفتها حفصة بنت سيرين في نشر أحكام المصطفى عليه الصلاة والسلام.

● وأسماء بنت عميس وهي تروي حديث فضل أصحاب السفينة[٢]، وجدت نفسها مرجعًا وسندًا لبيان منقبة كانت ترى متأخرة فإذا هي متقدمة، ترفع أصحاب الدرجات العلى، ولأجلها تصبح هذه الراوية الصحابية مثابة للسائلين، فكان هذا من تمام سعادتها إذ تقول في هذا: «فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول ﷺ: ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني»[٣].

● كما يرجع الفضل في بيان فضل أصحاب الشجرة المبايعين بيعة الرضوان إلى الراوية الصحابية أم مبشر التي كانت من المبايعات في هذه البيعة، تنقل عن النبي ﷺ تبشير الله لهم بالجنة[٤].

● وأحاديث كثيرة روتها النساء وهي مرجع وأصل في بابها، تمس

---

(١) البخاري، العيدين، إذا لم يكن لها جلباب في العيد ٩٨٠، ١/١١٨، عن أم عطية.

(٢) البخاري، المغازي، غزوة خيبر ٤٢٣١، ٣/١٨٥، عن أسماء بنت عميس.

(٣) البخاري، المغازي، غزوة خيبر ٤٢٣١، ٣/١٨٥، عن أسماء.

(٤) مسلم، فضائل الصحابة، فضائل أصحاب الشجرة ٢٤٩٦، ٤/١١٠٣، عن أم مبشر.

أبواباً كثيرة في كتب الحديث[1]، ولن يجد الباحث عناءً كبيرًا في جمع الأحاديث التي وصلتنا عن طريق النساء، ونقلها عنهن الرواة واعتمدها العلماء، فهي كثيرة، حتى لو استثنينا أحاديث أمهات المؤمنين التي لم تعرف إلا عنهن.. فكم حكم سار، وسنة متبعة، وإجماع قائم، أساسه وحجته ما حفظته امرأة عن النبيﷺ لا يقارعها فيه أحد.

وفي النهاية نخلص من هذا كله، أن الكتب الستة شاهدة على مساهمة المرأة في الرواية، وإن كانت المساهمة العددية ضئيلة بالنسبة لسائر القرون بالمقارنة مع مساهمة الرواة من الرجال، إلا أن الروايات النسائية لها قيمتها الكبيرة باعتبار مضامينها، خاصة الروايات التي نقلتها الصحابيات رضي الله عنهن جميعًا، إذ كثير منها كما ذكرنا من الروايات المشهورة والمعتمدة في بابها.. وقد أشرنا إلى تراجع الرواية باعتبار الحجم.. ومع بيان ما رأيناه تفسير لهذا، مما يغني عن الإعادة.

(١) مثل حديث أم كرز في العقيقة: «عن الغلام شاتان مكافأتان، وعن الجارية شاة». انظر: أبو داود، الأضاحي، العقيقة (٢٨٣٤، ٢٨٣٥)، ٣/١٠٤و ١٠٥، عن أم كرز.
- وحديث أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره فبال على ثوبه...» انظر: البخاري، الوضوء، بول الصبيان، ١/١٠١.
- وحديث سبيعة الأسلمية في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والحديث رواه الستة سوى الترمذي.
- وحديث عمرة بنت عبد الرحمن في الرضاع وثبوت الحرمة بخمس رضعات. مسلم، الرضاع، ٢/١١٥٠، عن عائشة.

الفصل الثاني

دور المرأة في الحديث.. دراية

المبحث الأول: صور التحمل والأداء عند المرأة

أولى علماء الحديث عناية خاصة بتحمل الحديث وأدائه للناس، وخاصة النقاد منهم، فوضعوا مصطلحات خاصة، تحدد كيفية تداول الأحاديث بين الرواة، مع بيان مراتبها من حيث الدلالة على التثبت وصحة النقل، ومن ثم عرفوا المتصل من الروايات من المنقطع.

وإيرادنا هذا المبحث ضمن البحث في رواية النساء، غرضنا منه معرفة مدى مشاركة المرأة في طرق تحمل الحديث المختلفة، وبعد الرواية النسائية عن شوائب التدليس والكذب بالتحايل في صيغ الأداء، مما يكسبها نقاء على الأقل في كيفية تناقل الحديث.

طرق تحمل الحديث:

لعله من الصعب حصر وتتبع جميع صور تعلم الحديث وتعليمه خلال القرون الثلاثة الأولى، لأن كل شيخ كانت لديه طريقته الخاصة في إيصال مروياته إلى التلاميذ، وكان الغرض هو الاستيثاق من ضبط المروي وقت تحمله وأثناء أدائه، إضافة إلى أن هذه القرون كانت العمدة فيها على الرواة، حيث كانوا أوعية متفرقة للعلم النبوي، الأمر الذي

تغير بعد تدوين الحديث في المصنفات المختلفة (أي بعد القرن الثالث)، حيث أصبحت العمدة على الكتب والأصول الصحيحة، وصارت الرواية في الحقيقة بقاء سلسلة الإسناد[1].

وقد جمع العلماء صور تحمل الحديث عموماً في ثمانية طرق[2] وهي كالآتي:

١- **الطريقة الأولى: السماع**: وهو أن يسمع الراوي من لفظ الشيخ، سواء كان من حفظه أو من كتابه، وقد يكون بشكل إملاء أو تحديث من غير إملاء[3]، وهذه الطريقة أرفع الأقسام عند جماهير المحدثين[4].

وبهذه الطريقة لم يكن يتجاوز التدريس بضعة أحاديث، وفي هذا قال الزهري: «من طلب العلم جملة، ذهب منه جملة»[5].

ويكون أداء ما تحمل بالسماع بـ: (حدثنا)، (أخبرنا)، (أنبأنا)، و(سمعت)، و(قال لنا)، و(ذكر لنا فلان)[6].

٢- **الطريقة الثانية: القراءة على الشيخ**: حفظًا أو من كتاب، وهو ما يسمى بـ(العرض)، أيضًا عند الجمهور[7]، والقول بصحتها

(١) الباعث الحثيث، أحمد شاكر، ص ١٠٨ بتصرف.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، لابن الأثير، ٧٩/١، دار المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٧هـ.

(٣) مقدمة ابن الصلاح (مع شرحها التقييد والإيضاح) ص٦٩، ٧٠، ١٤٠.

(٤) الإلماع في معرفة الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء التراث، القاهرة، ص٦٩، ٧٠.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٢١١/١.

(٦) مقدمة ابن الصلاح، ص١١٠.

(٧) الإلماع، ص٧٠.

ثابت عن كثير من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث بعدهم كابن جريج، والثوري وشعبة والبخاري...، وغيرهم كثير، وقد عقد البخاري بابًا في صحيحه في كتاب العلم، وهو «باب القراءة والعرض على المحدث»[1]، وقال الحافظ ابن حجر: «وقد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزئ، وإنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق»[2].

ويكون أداء ما تحمل بهذه الطريقة: بـ«قرأت» أو قرئ على فلان، وأنا أسمع فأقرّ به»، أو «حدثنا قراءة»[3].

وقد كانت هذه الطريقة شائعة جدًا عند المحدثين[4].

٣- **الطريقة الثالثة: الإجازة**: وهي أن يأذن الشيخ لغيره بأن يروي عنه مروياته أو مؤلفاته، وكأنها تتضمن إخباره بما أذن له بروايته عنه[5].

والإجازة أقسام:

أ- إجازة من معين لمعين في معين: بأن يقول: «أجزتك أن تروي عني هذا الكتاب»، وهذه جائزة عند الجماهير[6].

---

(١) صحيح البخاري، ١/١٠٣.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١/١١٠.

(٣) مقدمة ابن الصلاح، ص١١١.

(٤) شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط/١، ١٩٧٨م، ١/٢٣٣.

(٥) الباعث الحثيث، لأحمد شاكر، ص١٢٠.

(٦) اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ص١١٨.

ب- إجازة لمعين في غير معين: مثل قوله: أجزت لك أن تروي ما أرويه، وهذا مما يجوزه الجمهور أيضاً[1].

جـ- إجازة لغير معين: مثل أن يقول: أجزت للمسلمين، وتسمى: «الإجازة العامة» وقد اعتبرها طائفة من الحفاظ والعلماء مثل: الخطيب البغدادي.

٤- **الطريقة الرابعة: المناولة**: وهي أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه مصححة إلى رجل ويقول له: هذا حديثي أو كتابي فأروه عني، أو نحو ذلك[2].

والأصل فيها ما علقه البخاري في كتاب العلم أن رسول الله ﷺ كتب لأمير السرية كتاباً، وقال: لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس، وأخبرهم بأمر النبي ﷺ[3] فاحتج به البخاري على صحة المناولة.

والذي عليه جمهور المحدثين قديماً وحديثاً، أنه لايجوز إطلاق «حدثنا» ولا «أخبرنا»، بل مقيداً[4].

٥- **الطريقة الخامسة: المكاتبة**: بأن يكتب إليه بشيء من حديثه، فإن أذن له في روايته عنه فهو كالمناولة المقرونة بالإجازة[5]، وإن

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٨.

(٢) مقدمة ابن الصلاح، ص٤٩ فما بعد.

(٣) البخاري، العلم، ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، ١/ح٤.

(٤) اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ص١٢٣.

(٥) نفس المرجع ونفس الصفحة.

لم تكن معها إجازة فهي أرجح من المناولة بالإجازة أو بدونها[1].

والراوي بالمكاتبة يقول: «حدثني» أو «أخبرني» ولكن يقيدهما بالمكاتبة، لأن إطلاقهما يوهم السماع، فيكون غير صادق في روايته[2].

٦- **الطريقة السادسة: الإعلام**: وهو إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سماعه من فلان، من غير أن يأذن له في روايته عنه، وذهب كثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين إلى جواز الرواية بالإعلام من غير إجازة، بل أجازوا الرواية به وإن منع الشيخ الرواية بذلك[3].

٧- **الطريقة السابعة: الوصية**: بأن يوصي بكتاب له كان يرويه لشخص، فقد ترخص بعض السلف في رواية الموصى له بذلك الكتاب عن الموصي، وشبهوا ذلك بالمناولة وبالإعلام بالرواية[4].

٨- **الطريقة الثامنة: الوجادة**: وصورتها أن يجد حديثًا أو كتابًا بخط شخص بإسناده، سواء لقيه أو سمع منه، أو لم يلقه ولم يسمع منه[5].

فإذا كانت هذه طرق التحمل التي سجلها العلماء عبر النشاط التعليمي، فكما سبق أن ذكرنا أن القرون الثلاثة الأولى كان المهم عند

---

(١) الباعث الحثيث، أحمد شاكر، ص١٢٣.

(٢) نفس المرجع، ص١٢٣.

(٣) نفس المرجع، ص١٢٤.

(٤) اختصار علوم الحديث، ص١٢٥.

(٥) اختصار علوم الحديث، ص١٢٥.

العلماء أن تتناقل السنن من المحدث إلى تلاميذه مع الدقة والإتقان ومن غير انقطاع في السند أو إعضال[1]. وعليه لم يكن التحمل بالطرق التي ذكرنا جار مجرى القوانين التي لا يحاد عنها في الرواية، لأن هذه الطرق ما جمعت ودونت إلا بعد القرن الثالث بعد عملية استقراء وتتبع.

ومن خلال ملاحظة روايات النساء في القرون الثلاثة الأولى، أمكن إجمال أشكال التحمل والأداء فيما يلي، بعد تقسيم هذه المدة إلى قسمين: عصر النبوة وما بعد عصرالنبوة:

تحمل الصحابيات للحديث في العصر النبوي:

لقد سبق وأن ذكرنا في التمهيد للبحث، مدى حرص الصحابيات على العلم والتعلم وإقبالهن على مجالس العلم، وإقدامهن على السؤال والاستفسار، فكان منهن من لا يصرفها عن معرفة حقوقها وواجباتها ومتطلبات دينها صارف، فكان طلبها لحديث رسول الله ﷺ بدافع الطاعة والامتثال، ولم يكن سعيها للتحصيل خال من المقاصد والغايات، إذ كانت المرأة في عهده ﷺ تعرف أين تجد ضالتها إذا طرأ عليها أمر غامض استوجب زيادة معرفة، فتعددت الكيفيات التي تحصل بها على العلم النبوي كما يلي:

أ- المجالس الخاصة والعامة للمسلمين: وقد رأينا كيف أن

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، د. محمد لقمان السلفي، ط/١، ص٢٧٢.

النبي ﷺ خص يومًا للنساء يعظهن ويعلمهن أحكام الدين، وكن يحضرن العبادات الجماعية في المساجد، فيسمعن منه ﷺ مشافهة.

ب- قدوم النساء إلى البيت النبوي للسؤال، إذ كان النبي ﷺ مربيًا، فقد كان ﷺ لا يغلق بابه في وجه أحد يريد أن يتعلم، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل ذهاب زينب امرأة عبد الله بن مسعود إليه ﷺ تسأله عن النفقة والصدقة على الزوج والأقربين[1].. وما كان في سبيعة الأسلمية من الشهامة والفطنة، حيث ترددت فيما أفتاها به أبو السنابل من قوله: «لم تحلي»، وكان زوجها توفي فوضعت حملها بعده بليال، فانطلقت بنفسها إلى النبي ﷺ واستوضحت منه الحكم في قضيتها[2].. وكذا ما كان من امرأة رفاعة في المطلقة ثلاثًا، وبيان حكم التحليل في الزواج[3].

جـ- كانت المرأة تغتنم فرصة لقاء النبي ﷺ في الطريق لتسأله، وقد تعترضه أثناء أداء مناسكه وحجه، حتى وهو على راحلته تستفتيه فيفتيها، كما حصل للمرأة الخثعمية التي سألته عن الحج عن والدها العجوز[4].. كذا ما كان من المرأة التي كانت مع قومها يريدون الحج، فلما التقوا بالنبي ﷺ وعرفوه، سارعت ورفعت إليه صبيها تسأله: إن كان له حج.

---

(١) مر بنا الحديث.

(٢) البخاري، الطلاق. ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾، ٣/١١٤.

(٣) البخاري، الطلاق. إذا طلقها ثلاثًا ثم تزوجت بعد العدة زوجًا غيره فلم يمسها، ٣/١١٣.

(٤) البخاري، الحج، وجوب الحج وفضله، ٢/١٠٤، عن ابن عباس.

د- وقد تكون الصحابية شاهدة على حادث أو موقف وجه فيه النبي ﷺ أناسًا أو أقرهم على فعل أو بين لهم حكماً جديداً، فتتحمله عنه، ﷺ كما فعلت الربيع بنت معوذ عندما دخل عليها النبي ﷺ بيتها صبيحة عرسها، وقد مر بنا الحديث.

هـ- وإذا كان ما تسأل فيه المرأة مما يستحى منه عادة، فإذا غلب عليها الحياء ذهبت إلى بيته ﷺ، كما فعلت الصحابية التي أرسلها زوجها تسأل عن القبلة للصائم.

و- كما كانت حجة الوداع التي اجتمع فيها جمع غفير من المؤمنين والمؤمنات من كافة أنحاء الجزيرة فرصة للتحمل وتبليغ ما سمع.

فكما هو ملاحظ أنه في كل صور التحمل في هذا العهد لدى الصحابيات، تكون المشافهة هي الطريقة الرائجة.. لأن في الصدر الأول كان الناس يعتمدون على حفظ صدورهم، ومن كان يعرف الكتابة والقراءة من الصحابة قليل، ومن الصحابيات أقل منه.

تحمل الحديث وأداؤه فيما بعد عصر النبوة:

بعد وفاة النبي ﷺ أصبح أصحابه رضوان الله عليهم مقصد طلاب العلم، وخاصة من أكثر عنه الرواية. والمرأة في ذلك قدمت للجيل الجديد من التابعين ما تحملته من الكنوز قل أو كثر، وقد اتخذ التحمل والأداء أشكالاً جديدة، إضافة إلى القديمة:

١- **المشافهة (السماع)**: فمعظم الروايات قد بلغت مشافهة،

وقد رأينا في الكلام عن طبقات الراويات، كيف أن بعضهن كن من تلميذات بعض أمهات المؤمنين، مما يدل على أن تحملهن كان مشافهة، أي بالسماع من الصحابيات، وإن لم يكن من التلميذات المقيمات في المدينة، وكن ممن رحلن للحج أو غيره فسمعن الأحاديث أيضاً مشافهة من أصحابها عند الدخول عليهم.

٢- **المكاتبة**: وهذا اللون من التحمل والأداء كان نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أجناس كثيرة في الإسلام مع حاجتهم إلى فتاوى وأحكام في الأمور المستجدة، مما لم يهتدوا إليه بأنفسهم، فكان الناس يعمدون إلى مكاتبة رؤوس العلم ليزودوهم بما لديهم من العلم في قضاياهم، ولما كان أساس ما يفتون به كتاب الله أو ما أثر عن النبي ﷺ، فلا شك أن تكون هذه الرسائل المبعوثة متضمنة لأفعال النبي ﷺ و أقواله أو تقريراته، وإن كانت هذه المكاتبات لم يقصد بها التحديث ابتداء، وإنما كانت للفتوى، إلا أن هذا لا يمنع من جعل مضامين الرسائل بعد ذلك مادة للتحديث لأن الإجازة متحققة فيها، وإن لم ينص على ذلك، «وإلا فما معنى أن يكتب الشيخ للتلميذ كتابه ويرسله إليه»(١).

ولبيان مساهمة المرأة في هذا اللون من التحمل والأداء، نذكر ما ترويه عائشة بنت طلحة حيث قالت: «قلت لعائشة، وأنا في حجرها، وكان الناس يأتوننا من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها،

(١) منهج النقد عند المحدثين، لقمان السلفي. ص٢٧٥.

وكان الشباب يتأخَّوني فيهدون إلي ويكتبون إلي من الأمصار، فأقول لعائشة: هذا كتاب فلان وهديته، فتقول لي عائشة: أي بنية، فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، قالت: فتعطيني»[1].

هذا المثال، وإن وردت فيه المكاتبة العادية دون قصد التحديث، إلا أنه بإمكاننا القول: إن عائشة بنت طلحة، كانت من الرواة المعروفين بالعلم والفضل، ولا نشك أن تكون مكاتباتها تتضمن أحياناً أموراً علمية بعد وفاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وسوف نرى في مبحث دور المرأة في نقد الروايات، كيف كان الناس يكاتبون أم المؤمنين عائشة من كل الأقطار يسألونها عن مختلف القضايا، فكانت تجيبهم على ذلك مكاتبة أيضاً بخط يدها أو تأمر من يكتب لها، وقد كان معاوية يستفتيها ولا يطمئن إلا لما يصله ردها.

كذا ما كان من مكاتبة عمرة بنت عبد الرحمن إلى الحسين ابن علي تعظم عليه ما يريد أن يصنع وتأمره بلزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدثتني عائشة إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقتل حسين بأرض بابل**»[2].

٣- **الوجادة**: قد وجد هذا النوع منذ عصر الصحابة والتابعين، فقد وجدوا صحفاً لبعض الصحابة والتابعين وتناقلوها بالوجادة[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: الكتابة إلى النساء وجوابهن، قال فيه الشيخ الألباني: سنده صحيح، وذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ١٧٩، ١٠٤/٢.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق، ٣٣٢/٤، ٣٣٣.

(٣) الكفاية، للخطيب البغدادي، ص٥٠٥.

ولعل هذا اللون يلجأ إليه الراوي إذا لم يتسن له سماع ما وجد من الشيخ مع كونه لقيه وسمع منه، كما كان الحال بالنسبة لعبد الله ابن أحمد بن حنبل، فاستعماله لصيغة : «وجدت في كتاب أبي»، أو «بخط أبي» كثيرة، وبالرجوع إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل يتضح ذلك، ولم يستجز عبد الله أن يرويها -أي الأحاديث- عن أبيه دون صيغة الوجادة مع كونه راوية كتبه وابنه وتلميذه، وخط أبيه معروف لديه، وكتبه محفوظة عنده في خزائنه[1].

وقد يلتجأ الراوي أيضًا إلى استعمال صيغة الوجادة إذا لم يلتق بمن يروي عنه وجادة ولم يسمع منه، وقد رصدنا بعض النماذج من الراويات تروي الواحدة بالوجادة عن أحد أقاربها لوجود كتابه عندها، نذكر:

- سمانة بنت حمدان، وهي بنت بنت الوضاح بن حسان، تروي عن جدها بقولها: «وجدت في كتاب جدي الوضاح بن حسان...»، الحديث[2].

- فاطمة بنت عبد الرحمن الحرانية، تروي بالوجادة بقولها: «وجدت في كتاب أبي...» الحديث. وفاطمة قد عاشت أواخر القرن الثالث وتوفيت بداية القرن الرابع[3].

٤- **الإجازة**: اعتمدت الإجازة بعد أن دونت الأحاديث في

---

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث، لقمان السلفي، ص٢٨٢.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/ ٤٤٠.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/ ٤٤٤.

الكتب بالأسانيد الموثوقة، فاتخذت طريقة الإجازة تسهيلاً وتيسيراً على الشيخ وتلاميذه، إذ من الصعوبة بمكان قراءة الكتب من أولها إلى آخرها على كل طالب، فكانت الإجازة عن إخبار على سبيل الإجمال، ولذلك لم يستحسن العلماء الإجازة إلا إذا كان المجاز له من أهل العلم[1]، وأن تكون في شيء معين معروف. وعليه يكون وجود هذا النوع في القرن الثالث خاصة لكون معظم الكتب الحديثية قد دونت.. وتشير المصادر إلى وجود نساء راويات عرفن بطلب العلم وتحملن بطريق الإجازة، نذكر منهن مثلاً:

- فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي، أخت أبي محمد الباجي الإشبيلي، شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه، وأجازهما معًا محمد بن فطيس الألبيري في جميع رواياته بخط يده[2].

- غدا بنت عبد الرحمن بن حمدون، من أهل قرطبة، حدثت إجازة عن سعيد بن عثمان الأعناقي[3].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ٢/ ١٨٠.

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، علمائها وأمرائها وشعرائها، وذوي النباهة فيها، ممن دخل إليها أو خرج منها، لأحمد بن يحيي الضبي، ص٥١٣.

- ومحمد بن فطيس بن واصل الخافقي الألبيري الزاهد، من أهل الحديث والفهم والحفظ والبحث عن الرجال، وله رحلة، توفي سنة ٣١٩هـ، انظر بغية الملتمس، ص١١٠.

(٣) انظر تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي، ص٣٤٧.

- وسعيد بن عثمان الأعناقي من أهل قرطبة، رحل فلقي جماعة من أهل الحديث، كان ورعاً، زاهداً، عالمًا بالحديث، بصيراً بعلله، لكن لا علم له بالفقه، توفي سنة ٣٠٥هـ، ومولده سنة ٢٣٣هـ، انظر تاريخ العلماء، لابن الفرضي، ص١٩٥٤.

المبحث الثاني : دور المرأة في نقد الروايات

تمهيد :

إن معرفة ديننا، الذي هو عصمة أمرنا وسبيل فلاحنا في دنيايا وآخرتنا، موقوفة على معرفة سننه والصحيح من آثاره والعمل به، وبما أن القرآن العظيم قد كتب له البقاء والحفظ إلى يوم القيامة[(١)]، وشريعته خالدة أبداً، فقد أمر النبي ﷺ أمته بالتبليغ عنه[(٢)] وذلك تأكيداً لخلود الرسالة واستمرار سنته وشريعته، لكنه عليه الصلاة والسلام حد حدوداً ووضع ضوابطًا لمضمون التبليغ وكيفيته.. فكما رغَّب عليه الصلاة والسلام في التعليم وحث على الرواية، حذر أيضًا من الكذب عليه، وبين عواقبه في قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(٣)].. وقد وصلنا هذا التحذير الشديد عن طريق تواتر عجيب[(٤)] يدل على أنه ﷺ كان يعلم أن حديثه سوف يروى وأنه يدخل فيه السقيم.. وإزاء هذه الحقيقة،

---

(١) قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر ٩).

(٢) قال عليه الصلاة والسلام: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه. فرب مبلغ أحفظ له من سامع». عن ابن مسعود بهذا اللفظ. انظر مسند أحمد، ٦/٩٦.

(٣) صحيح البخاري. كتاب العلم. باب إثم من كذب على النبي ﷺ. ١/٤٤ عن أبي هريرة.

(٤) قال المباركفوري نقلا عن ابن الجوزي رواه عن النبي ﷺ ثمانية وتسعون صحابيا منهم العشرة ولا يعرف ذلك لغيره. تحفة الأحوذي، المباركفوري، دار الفكر، بيروت، ط٣، ٣/٤٢٠.

نبّه ﷺ أصحابه والمؤمنين من بعدهم إلى أن الحديث عنه دين، ويجب أن يتحروا فيه غاية التحري. فنتج عن ذلك وبفضل جهود حفاظ السنة ما يسمى بنقد الحديث.

تعريف النقد:

لا يتم التحري والاحتياط في الرواية إلا بنقد الأحاديث المضافة إلى النبي ﷺ نقداً علميًا لمعرفة صحيحها من سقيمها، لئلا يدخل في الإسلام ما ليس منه[1].

النقد في اللغة:

يقال: نقدت الدراهم وانتقدتها، إذا أخرجت منها الزيف، وناقدت فلانًا إذا ناقشته في الأمر[2].

النقد في اصطلاح المحدثين:

يمكن تعريفه بأنه تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة توثيقًا وتجريحاً.

فإذا اعتمدنا هذا التعريف، نشير إلى أننا في هذا المبحث معنيون بالشطر الأول من التعريف، أي النقد من جهة تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، أما الحكم على الرواة توثيقًا وتجريحًا فهو موضوع المبحث التالي: دور المرأة في الجرح والتعديل.

---

(١) منهج النقد عند المحدثين، مصطفى الأعظمي مكتبة الكوثر طبعة مزيدة منقحة، ط٣، ص٥٥.

(٢) انظر في الصحاح (تاج اللغة وصحاح اللغة)، الجوهري ٢/٤٤٥، ولسان العرب، ٣/٤٢٥.

الحاجة إلى نقد الأحاديث النبوية:

أ- لا يخفى على أحد المكانة العليا التي تحتلها السنة النبوية الشريفة، إذ هي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي والفقه، وهي شارحة لكلام الله، مبينة له.

وقد علم هذا كله الصحابة الكرام، كما عرفوا ضرورة الحفاظ عليها، فسلكوا مسلك الحيطة الشديدة في قبولها من الآخرين، والتأكد من صحتها قبل أن يحدثوا بها عن النبي ﷺ مخافة أن تبدل كلمة بكلمة، فيدخلوا في عموم التحذير من الكذب، ومخافة أن تكون روايتهم ذريعة إلى ذلك[1].

ب- ثم جاءت الفتنة لتحيي في بعض النفوس المريضة التي أظهرت الإسلام، النعرات البغيضة، وتثير فيهم الحقود الدفينة، فعمدوا إلى الدس والكذب، وإثارة الشبهات متخذين من الاختلافات الاجتهادية السياسية بين الصحابة مطايا للتشويش على عوام الناس.. وبتقادم الزمن وبعد العهد من الرسول ﷺ طالت الأسانيد وقويت

---

(١) كان ابن عمر رضي الله عنه من وجله أن يخطئ الصاحب على رسول الله ﷺ، يأمرهم أن يقلّوا الرواية عن نبيهم، انظر تذكرة الحفاظ، ١/٦، كما حبس جماعة من الصحابة وقال: قد أكثرتم الحديث رسول الله ﷺ، انظر المدخل إلى كتاب الإكليل، للحاكم النيسابوري.
كما سأل عبد الله بن الزبير أباه: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلانًا وفلانًا فيقول له: أما لم أفارقه ولكن سمعته يقول: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، أخرجه البخاري.
وأما السائب بن يزيد فكان يقول: صحبت سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ حتى رجع.. وزيد بن الأرقم يقال له حدثنا فيقول: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله شديد، انظر: سنن ابن ماجه، باب التوقي في حديث رسول الله ﷺ.

حملات الطعن في السنة، الأمر الذي دفع علماء السنة إلى الفحص على النقلة والبحث عن أحوالهم، ليؤخذ بكلام الصادقين ويعمل به، ويرمى كلام الكاذبين ويدفن، أو يروى فيبين ويشهر[1].

جـ- إضافة إلى ذلك، فإن الأحاديث قد يدخلها السقيم من الروايات، ويكون ذلك راجعًا إلى النسيان والغفلة، فالإنسان يخطئ وقد يكون هذا الخطأ بالنسيان أو بالعمد دسًا وكذبًا، وتبقى النتيجة واحدة بالنسبة لصدق الحديث وكذبه، لذلك لزم تنقية الأحاديث من شوائب الأخطاء بأصنافها، وهذا تقصاه العلماء الأفذاذ شعوراً منهم بالمسؤولية في الذب عن الدين عمومًا، وأداءً لواجب نبيل يتعبدون به الله تعالى، ولذلك قال الإمام مسلم: «فإن كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره، ممن جهل معرفته، كان آثمًا بفعله ذلك، غاشًا لعوام المسلمين»[2].

وقد دعت مجموعة هذه الأسانيد المحدثين إلى أن يبحثوا عن أحوال الرواة، وجعلوا بينهم وبين من يتصدى للرواية «الإسناد»[3]،

---

(١) عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، انظر مقدمة صحيح مسلم ٨٤/١، وعن ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما وقعت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»، مقدمة مسلم، ص١٢.

(٢) مقدمة صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ص١٢٣.

(٣) قال عبد الله بن المبارك: «بيننا وبين القوم القوائم»، يعني الإسناد، مقدمة مسلم، ص١٠، وعنه أيضًا قال: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، مقدمة مسلم ٨٧.

ووضعوا قواعد لنقد السند وأخرى لنقد المتن وكشف العلل فيهما، بناء على منهج شامل لكافة جوانب الحديث.

بدايات نقد الأخبار:

في الواقع بدأ البحث والتنقيب في أحاديث رسول الله ﷺ في حياته[1] كأولى خطوات النقد، حيث بدأ على شكل سؤال واستفسار لدى النبي ﷺ نفسه، كان من باب الاستظهار والاستيثاق للوصول للطمأنينة القلبية، لكنها كانت على نطاق ضيق[2] جداً، لأن الصحابة ما كانوا يكذبون ولا يكذّب بعضهم بعضاً[3]، حتى إذا قبض الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكان لزامًا على أمته أن تتمسك بسنته الشريفة،

(١) مقدمة المعلمي على تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ص٥.

(٢) الأصل عن الصحابة الذين كانوا يبلغون بعضهم بعضًا بما يسمعونه عن النبي ﷺ فيأخذون به، لكن قد يحدث أحيانًا أن السامع يريد التثبت وهذا قليل كتثبت علي من النبي ﷺ لما أخبرته فاطمة الزهراء أن رسول الله أمرها بالتحلل، فلما استفتى في ذلك رسول الله ﷺ صدقها. انظر أبو داود، المناسك، صفة حجة النبي ﷺ، ١٩٠٥، ٢/١٨٩.

وهذا عمر لما أخبره صاحبه أن النبي ﷺ طلق نسائه، يذهب إليه ﷺ مستخبرًا فيقول له: «لا» أي أنه لم يطلق نسائه. البخاري، المظالم، ٢/١٩٧ عن عمرو بن العاص.

- وتثبت امرأة عبد الله بن مسعود من النبي ﷺ لما أخبرها زوجها أن لها أجر النفقة على أهلها فما اطمأنت حتى أتت إليه ﷺ فأكد قول عبد الله بن مسعود، البخاري، الزكاة.

(٣) وكان أنس يقول: «والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله سمعناه منه، ولكن لم يكذب بعضنا بعضًا»، انظر معجم الطبراني الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

وعن البراء قال: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابه عنه، كانت تشغلنا عنه رعية الإبل، رواه أحمد في المسند ١/١٤٤ ورجاله رجال الصحيح.

عرف عن بعض الصحابة التحرز الشديد في قبول الأخبار[١].. فالصحابي كان شديد الحرص والتمسك بما سمعه من رسول الله ﷺ أو أخذه من فعله مباشرة دون واسطة، إذ لا تداني هذه الرواية أية رواية أخرى في قوة الثبوت والتأكد، لكن قد يقع للصحابي أن يسمع من صحابي آخر حديثًا عن النبي ﷺ، فيتوقف فيه حيث لا يراه منسجمًا مع ما فهمه من معاني القرآن الكريم وما سمعه هو من فم النبي ﷺ، وهنا إما أن يتوقف الصحابي في الرواية مجرد توقف سرعان ما يزول إذا تعدد من سمع نفس الرواية[٢]، وإما أن ينكرها إطلاقًا، حملاً لها على سهو الناقل وخطئه ووهمه[٣].

كما قام بالنقد عدد من الصحابة في حياة عمر وبعد وفاته، وأضافوا قواعد للنقد، ومن هؤلاء أم المؤمنين عائشة.

---

(١) ذكر الذهبي أن أول من احتاط في الأخبار أبو بكر، فقد جاءته الجدة تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا وما سمعت رسول الله ﷺ ذكر لك شيئًا، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذ لها، انظر تذكرة الحفاظ ٢/١، وقد أخرجه الترمذي، الفرائض، ما جاء في ميراث الجدة، ٢١٠٠، ٤١٩/٤.. وكان عمر رضي الله عنه إذا بلغه حديث من صحابي أخر لم يعرفه بلغ به حرصه على الاستيثاق حد التشدد والغلظة على المحدث والوعيد عليه، مطالبًا إياه بالبينة، كما فعل مع أبي موسى الأشعري في سماعه لحديث الاستئذان ثلاثًا، انظر البخاري، الاستئذان، وكان علي بن أبي طالب عالمًا متحريًا في الأخذ بحيث إنه يستحلف من يحدثه الحديث فإذا حلف صدقه انظر شرح مسلم ١٧٩/١.

(٢) ولعل أبا بكر كان سباقًا إلى استخدام أهم قاعدة في النقد والتدقيق وهي المقارنة بين الروايات، ثم استخدمها بعد ذلك عمر، انظر منهج النقد عند المحدثين، مصطفى الأعظمي، ص٥٠.

(٣) كما فعل عمر مع حديث فاطمة بنت قيس في المطلقة ثلاثًا ليس لها سكنى ولا نفقة، فقال: لا ندع كتاب الله وسنة نبيه بكلام امرأة لا نعرف لعلها حفظت أو نسيت» انظر: صحيح مسلم،١١١٩/٢.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونقد الروايات:

أ- خصائصها العلمية في النقد :

امتازت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالذكاء والفهم وكثرة الرواية، وكانت تفسر حديث رسول الله ﷺ وهي بين يديه لمن لم يفهم، كما كانت طُلَعَة كثيرة السؤال، لا يهدأ لها بال حتى ترضي طمأنينتها وتجلو لنفسها كل خفي مما يحيط بها[1].. فقد أوردت على رسول الله ﷺ من الأسئلة في كل ما يمر بها من موضوعات في الفقه والقرآن الكريم والأخبار والمغيبات، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب.... «وهذا شأن المرء ذي الطبيعة العلمية، كلما عظم حظه من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه، أما الجاهل فليس بمعني أن يسأل، فإذا أصاب من المعرفة حظًا ما بطريق العرض، كان أبعد الناس على أن تطلب نفسه مزيداً أو تحدثه بسؤال يسأله....»[2].

لهذا فإن قائمة الذين عرفوا بنقد الراويات محدودة، سجلت أسماء لامعة أنعم الله عليهم بالخصائص التي تؤهلهم لأن يمعنوا النظر في النصوص ويقلبوها على عدة وجوه، ويتفحصوا الظاهر والباطن ليميزوا الخبيث من الطيب، وشاء الله تعالى أن يخلد اسم عائشة زوج النبي ﷺ مع هذه الأسماء، ومقامها في هذا مقام الأستاذ لما قدمت من صحة النظر، وصواب النقد، وحضور الحفظ، وجودة النقاش.

---

(١) يقول ابن أبي أوفى عن عائشة: إنها كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا سألت فيه حتى تعرفه.

(٢) انظر مقدمة محقق كتاب الإجابة للزركشي، لسعيد الأفغاني، ص٤.

ب- منهجها رضي الله عنها في نقد الروايات:

كان يصل إلى مسمع السيدة عائشة عن بعض الصحابة روايات وأحكام على غير وجهها، فتصحح لهم ما أخطأوا فيه أو خفي عليهم، حتى عرف ذلك عنها، فقد استدركت على بعضهم ضياع أول الكلام عليهم أو آخره، واستدركت على كثيرين فهمهم للحديث أو خطأ استنباط حكم من آية، وكان الناس يقعون منها في كل ذلك على علم غزير وفهم حصيف ورأي صائب، ولا غرابة فقد كانت عائشة الملجأ الأخير الذي ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتصحيحها والقضاء فيها بالقول الفصل.

وبعد تتبع استدراكاتها على الصحابة في القضايا المختلفة، يمكن الوصول إلى رسم الخطوط الأساسية لمنهجها في رد الروايات وتصحيحها وتصويبها، وبيان خاصها من عامها، وإيراد سبب الورود فيها.. وقد استخلصنا في هذا معالم لمنهجها نوجزها ونجملها في النقاط التالية:

▪ أولاً: معارضة الروايات بالنصوص القرآنية:

أكثرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من استعمال هذا المنهج، وحكمت في ضوئه على الراوي بالخطأ، ولا يهمنا هنا أن نبحث عن مدى صحة نقدها وكيف أجيب عن اعتراضاتها، لكننا نبحث عن منهجها في النقد فقط.

وقد استخدمت رضي الله عنها هذا المنهج بأشكال مختلفة،

ولكنها كانت تأتي بالآية القرآنية لتؤيد بها ما ذهبت إليه في تصحيح الرواية أو ردها أو بيان خصوصيتها ودلالة معانيها.. ونورد هنا بعض الأمثلة لتوضيح هذا:

- **تصحيح الرواية ببيان الخصوصية ثم تأييدها بالآية**: كما في نقد رواية «**ولد الزنى شر الثلاثة**»(١)، التي يرويها أبو هريرة، فقد عابت السيدة عائشة على أبي هريرة تعميمه لهذه الرواية، وغفلته عن سبب الورود الذي قيل فيه الحديث، فسمعه على غير وجهه، فأكدت أن الحديث لم يكن على هذا إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله ﷺ فقال: «**من يعذرني من فلان**»؟ قيل: يا رسول الله إنه مع ما به ولد زنى، فقال: «**هو شر الثلاثة**»، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤)(٢).

كذا ما رواه أبو هريرة في ولد الزنى، وأن رسول الله ﷺ قال: «**لأن أُمتِّعَ بسوط في سبيل الله أحبّ إلي من أن أعتق ولد الزنى**»(٣)، فقد عابته عائشة أيضًا على أبي هريرة، وبينت سبب الورود وأنه لما نزلت: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد: ١١-١٣)، قيل: يا رسول الله، ما عندنا ما نعتق، إلا أن أحدنا له الجارية السوداء، تخدمه وتسعى عليه، لو أمرناهنّ

---

(١) رواه أبو داود، كتاب العتق، باب في عتق ولد الزنا، ٢٨/٤.

(٢) رواه البيهقي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ولد الزنا، ٥٨/١٠، عن عائشة.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ولد الزنا، ٥٨/١٠.

فزَنَيْنَ، فجئن بأولاد فأعتقناهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لأن أُمتِّعَ بسوط في سبيل الله، أحب إلي من أن آمر بالزنى، ثم أعتق الولد**»[1]، وأكدت رد الرواية على هذا الوجه بأنها مخالفة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

فعائشة لم تكتف في ردها الرواية ببيان سبب الورود الذي لعله يكون كافيًا في إظهار المراد، لكنها قرنت الحجة بالحجة، وجاءت بكلام الله تعالى مؤيدًا لما تراه في هذا الموضوع أو سمعته هي من فم النبي ﷺ، وحديث الرسول ﷺ لا يمكن أن يخالف قول الله تبارك وتعالى.

- **تصحيح الرواية بجبر النقص فيها وتأييدها بالآية**: من ذلك نقدها لرواية أبي هريرة المرفوعة إلى النبي ﷺ: «**إن الطِّيرة في ثلاثة، في الدار والمرأة والفرس**»[2]، إذ لما بلغ ذلك عائشة طارت شقة منها في السماء وشقة منها في الأرض، وقالت: «والذي نزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن كان نبي الله يقول: **كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدابة والدار**»، ثم قرأت عائشة قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد: ٢٢)[3].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٢١٤، ٢١٥، وكذا البيهقي في السنن ٥٨/١٠.

(٢) الحديث في البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة ٥٧٥٣، ١٧٥/٤.

والطِّيرة: هي التشاؤم بالشيء وهو مصدر تطير، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير.

(٣) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ١٥٠/١، ٢٤٠، وزاد ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ذكر عائشة رضي الله عنها للآية انظر: تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص١٠٤.

فالسيدة عائشة وهي تنكر على أبي هريرة هذه الرواية، بينت أنه لم يحفظ هذا الحديث على وجهه، لأن ربما دخل والرسول ﷺ يحدث بهذا الحديث فسمع آخره، ولم يسمع أوله، وهو أن أهل الجاهلية هم الذين كانوا يقولون ذلك، وأيدت نقدها لروايته بمخالفته الآية القرآنية، إذ المصائب مكتوبة قبل أن تخلق الأرض وما عليها. فأي مبلغ بلغته هذه العالمة الجليلة في جودة النقاش مع حضور الذهن وسعة الحفظ.

■ ثانيًا: معارضة الروايات بفعل النبي ﷺ:

ونتيجة هذا المنهج تكون إما برد الرواية مطلقًا أو بتصحيحها بجبر النقص فيها.

- **رد الرواية**: في حديث أبي ذر وأبي هريرة وابن عباس في: «**أن الصلاة يقطعها الحمار والمرأة والكلب**»[1]. فقد أنكرته رضي الله عنها إنكارًا شديدًا فقالت: «شبهتمونا بالحمير والكلاب، والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لي الحاجة، فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله ﷺ فانسل من عند رجليه»[2]، فقلد ارتكزت عائشة في رد الرواية على فعل النبي ﷺ.. فهل تكون صلاته ﷺ وعائشة مضطجعة أمامه باطلة أم أن الرواية لمعنى آخر لا يفهم منه ما فهمه الصحابة؟

---

(١) مسلم، الصلاة، بيان سترة المصلي، ١/٣٦٦، عن أبي هريرة وأبي ذر.

(٢) مسلم، الصلاة، بيان سترة المصلي، ١/٣٦٦، عن عائشة.

ـ **تصحيح الرواية بجبر النقص**: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودمًا، خير له من أن يمتلئ شعرًا**»[1]، فلما بلغ عائشة هذا قالت: «لم يحفظ الحديث، إنما قال رسول الله ﷺ: **لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودمًا خير له من أن يتملئ شعراً هجيت به**»[2]، فقد صححت عائشة في هذه المسألة النقص الذي في الرواية، ولم تنقدها من حيث متنها بمخالفة آية أو حديث نبوي، و« ذلك ملحوظ، إذ لو كان امتلاء الجوف بالشعر كما في ظاهر رواية أبي هريرة، لما أقر النبي ﷺ حسان بن ثابت على قول الشعر، حتى إنه ليوضع له منبر في المسجد لهذا.. ويدل على أن هذا ملحوظ في ردها، كونها أحد من رواه من الصحابة، ويحتمل أنها استشهدت بذلك في نقدها لمتن رواية أبي هريرة ولكن لم ينقل لنا»[3].

■ **ثالثًا: معارضة حديث بحديث آخر:**

وفيه أن أم المؤمنين قد ترد حديثًا لأنه يتناقض مع حديث آخر، مكتفية بهذا أو ترد رواية برواية أخرى في نفس الحديث، ولكنها تأتي بالمرجح سواء كان عقليًا أو متناسبًا مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) البخاري، الأدب، ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله، ١٦٠/٤.

(٢) الطحاوي، شرح معاني الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٦٩٢/٤، وقال ابن حجر: إن زيادة عائشة لم تثبت لأنها جاءت من رواية ابن الكلبي عن أبي صالح، وابن الكلبي واه الحديث.

(٣) منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، الإدلبي، دار الآفاق الجديدة، ص١٢٢ بتصرف.

ـ **مثال معارضة حديث بحديث**: وفيه رد أم المؤمنين رضي الله عنها لرواية أبي هريرة مرفوعة: «**من لم يوتر فليس منا**»[1]، فلما بلغها ذلك قالت: من سمع هذا من أبي القاسم ﷺ؟ ما بعد العهد وما نسينا، إنما قال أبو القاسم ﷺ: «**من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة حافظًا على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينتقص منهن شيئاً، كان له عند الله عهد ألا يعذبه، ومن جاء وقد أنقص منهن شيئاً فليس له عند الله، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه**»[2]، وهنا تقابل هذه الرواية عن الوتر، لا بآية قرآنية، بل بحديث نبوي آخر، وهو يجعل الصلوات الواجبة خمسًا، ولو صح إيجاب الوتر لأصبحت ست صلوات، وهو مخالف لنص الحديث.

ـ **مثال معارضة رواية برواية مع الإتيان بالمرجح**: وهذا كما في نقدها رواية ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم**»[3]، فقد بينت عائشة أن ابن عمر قد غلط في روايته، وأتت بالرواية على الوجه الذي تعلمه صحيحًا وجاءت بالمرجح العقلي، هو أن مؤذن الفجر ينبغي أن يكون بصيراً، ليرقب انفجار الفجر الذي تتعلق به الأحكام، بخلاف مؤذن

---

(١) انظر مسند أحمد، ٢/٤٤٣، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٢/٢٤٠، وذكر الهيثمي أن في سند أحمد الخطيل بن مرة، ضعّفه البخاري وأبو حاتم.

(٢) رواه ابن ماجه، إقامة الصلاة والسنة فيها، ١/٤٤٨، ٤٤٩، عن عبادة بن الصامت.

(٣) رواه البخاري، الصوم «لا يمنعكم من سحوركم آذان بلال»، ٢/٣٥ عن ابن عمر.

الليل الذي لا يشترط فيه أن يكون مبصرًا، لأن أذانه لا تتعلق به الأحكام، وكان ابن أم مكتوم كفيف البصر وكان بلال مبصرًا، فأيهما أولى أن يكون مؤذنًا للفجر؟ وفي هذا قالت رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**إن ابن أم مكتوم رجل أعمى، فإذا أذن فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال**»(١)، قالت: «وكان بلال يبصر الفجر»، وكانت عائشة تقول: «غلط ابن عمر»(٢).

هذه بعض الطرق التي كانت تتخذها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نقد الروايات، وتصويبها، بعرض الرواية الراجحة والتدليل عليها بحجة خارجية سواء كانت آية أو حديثًا أو فعل النبي ﷺ، وإذا تتبعنا هذا المنهج نراه يعتمد على الفهم الحصيف والنظر الحصيف في متن الحديث مع سعة الحفظ.

وهكذا كانت أم المؤمنين مدرسة مميزة في نقد الروايات، المبني على قواعد متينة في فن معارضة الروايات الذي ازدهر في القرون المتأخرة، فحصل لها شرف الأولوية والإبداع، فكانت بذلك قدوة حية لكافة النساء عبر العصور، تبين أن الله تعالى قد أودع أيضًا في النساء من القدرات والملكات العلمية والاجتهادية ما إن وظفتها نبغت نبوغًا عاليًا، وقدمت ما لا يستطيعه كثير من الرجال... وفعلاً كانت النساء

---

(١) رواه أحمد، المسند ٦/١٨٥، ١٨٦، وصحح الزركشي إسناده، انظر: الإجابة، للزركشي، ص٩٨.

(٢) تغليط ابن عمر زيادة لم يذكرها أحمد لكن زادها البيهقي، انظر سنن البيهقي، ١/٣٨٢.

يرقبن علم عائشة وينهلن منه وينفعهن الله تعالى بفقهها وفتواها ونظرها الثاقب الواعي في النصوص الشرعية قرآنًا وسنة، فخلفت بتربيتها لكثير من النساء نخبة عالمة من تلميذاتها.. إذ سجلت لنا النصوص مساهمات بعضهن في تمحيص ونقد الروايات، وبيان دلالاتها الحقيقية.. ونورد هنا بعض النصوص ذات الدلالة البينة والضمنية:

- **المثال الأول**: في حديث فاطمة بنت قيس: «**أن المطلقة ثلاثًا لا سكنى لها ولا نفقة**»[1]، قد أنكر على فاطمة هذه الرواية عمر وعائشة... من الصحابة[2]، لكن فاطمة كانت متمسكة بروايتها وتدافع عنها منتقدة من يرى أن المبتوتة لها السكنى وليس لها النفقة بقولها: «بيني وبينكم كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ... لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١)، قالت: فأي أمر يحدث بعد الثلاث[3]؟ كما كانت تقول معارضة لمن يرى أن لها السكنى: فكيف تقولون لا نفقة لها إذا لم تكن حاملاً، فعلام تحبسونها[4]؟

- **المثال الثاني**: «كن نساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف فيه الصفرة، فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء،

---

(١) مسلم. الطلاق. المطلقة البائن لا نفقة لها. ٢/١١١٨.

(٢) وإنكارهما ذكره مسلم في إخراجه حديث فاطمة في المبتوتة السابق الذكر. وأبو داود. الطلاق.

(٣) مسلم. الطلاق. المطلقة البائن لا نفقة لها. ٢/١١١٨.

(٤) نفس المرجع السابق.

تريد بذلك الطهر من الحيض، فلما بلغ ابنة زيد بن ثابت[1]، أن نساء يدعون بالمصابيح من جوف الليل ينظرن إلى الطهر، قالت: ما كان النساء يصنعن هذا، وعابت عليهن»[2].

وعليه نصل إلى أن المرأة المسلمة لم تكن بعيدة حتى عن مجال النقد، فإذا كانت سيدة المحدثات لها باع طويل في هذا الفن، فلا غرابة أن توجد من حذت حذوها رضي الله عنها إذا توفر لها من المؤهلات الذاتية والمكتسبة ما توفر لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) فقيهة مدنية، انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٤٨٥.

(٢) استشهد به البخاري في كتاب الحيض، باب إقبال المحيض وإدباره ١/١٢، الكرسف: هو القطن.

المبحث الثالث: دورالمرأة في الجرح والتعديل

قبل الاسترسال في الحديث عن مشروعية الجرح والتعديل عند النساء وبداياته، وأهم من خاضت في هذا الفن، يحسن بنا أن نلقي نظرة عن ماهية هذا العلم وفضله.

أ- **تعريف الجرح لغة**[1]: نقول: جَرَحه جرحًا إذا أثّر فيه وكلمه بالسلاح ونحوه، وعند المبالغة نقول: جرّحه أي أكثر فيه الجراح، وقد يكون الجرح معنويًا فنقول: جرحه بلسانه أي شتمه وسبه، وقد يتم الجرح دون سب ولا شتم كقولنا: جرح الحاكم الشاهد أي أسقط عدالته، وذلك إذا عثر منه على ما يسقط به عدالته من كذب وغيره، ولا يختص هذا اللون من الجرح بالحكام وإنما يتجاوزهم إلى كل الناس. وقال بعض التابعين[2]: «كثرت هذه الأحاديث واستخرجت، أي فسدت وقل صحاحها».. ويشرح ابن منظور هذه العبارة بقوله: «أرادوا أن الأحاديث كثرت حتى أحوجت أهل العلم بها إلى جرح بعض رواتها ورد روايته». فاستعمل المحدثون الجرح في نقد الرواة ورد الرواية.

ب- **تعريف التعديل لغة**[3]: قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (الطلاق: ٢). قال سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ):

(١) انظر مادة: (جرح) في لسان العرب، ابن منظور ٢/٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، ص٨٨، وهو عبد الله بن عون.

(٣) انظر مادة: (عدل) في لسان العرب، ابن منظور، ١١/٤٣٠، ٤٣٢.

« ذوي عقل »، وقال غيره: « العدل الذي لم تظهر منه ريبة ».

والعدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، فيقال: هو يقضي بالحق أي يعدل فهو عدل، والعدل في الأصل مصدر، أطلق هنا وأريد به اسم الفاعل عادل، والعدل أبلغ من العادل، كما نقول: إمرأة عدل وعدلة، ورجال عدول ونساء عدول.

والعدالة والعدولة بمعنى العدل، فاستخدم المحدثون لفظ العدالة والتعديل والعدل والعدول في مجال الحكم على الرجال في الحديث، استخداماً لغوياً على حقيقته.

جـ- تعريف الجرح والتعديل في الاصطلاح:

يعرف حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) هذا العلم بقوله: هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة[١].

ويجعل الحاكم النيسابوري معرفة الجرح والتعديل ثمرة علم أصول الحديث: « والمرقاة الكبيرة منه »[٢]، ويراهما علمين مستقلين إذ يقول: « هما في الأصل نوعان، كل نوع منهما علم برأسه »[٣].

ولعل هذا المعنى هو الذي جعل صاحب « المختصر في علم رجال الأثر » يعرف كلاهما بتعريف مستقل.

---

(١) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٥٨٢/١.

(٢) معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، ص٥٢.

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.

أما الجرح فهو رد الحافظ المتقن رواية الراوي لعلة قادحة فيه، أو في روايته من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ ونحوها[1].

وأما التعديل فهو وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته[2].

وأما ابن أبي حاتم فيعرف الجرح والتعديل بـ: «إظهار أحوال أهل العلم، من كان منهم ثقة أو غير ثقة»[3].

ولا نريد أن نسترسل في بيان أي التعاريف الجامع المانع، إذ غايتنا هي بيان ما يؤدي إليه الجرح والتعديل من القبول والرد، وما أوردنا من التعاريف متضمنة لهذا، مما يجعل علم الجرح والتعديل عماد علوم السنة.

الجرح والتعديل ثابت عن النبي ﷺ:

وصلتنا وقائع ثابتة عن الرسول ﷺ تدل على أنه عليه الصلاة والسلام جرح وعدل بالمعنى العام، وقال العراقي[4]: «تكاد كل مصادر علوم الحديث تجمع على أن الكلام في الجرح والتعديل متقدم ثابت عن رسول الله ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين»

ولبيان وقائع جرح فيها النبي ﷺ أناساً، نورد هنا بعض الأمثلة:

---

(١) المختصر في علم رجال الأثر، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص٤٥.

(٢) المختصر في علم رجال الأثر، ص٤٥.

(٣) جوابه على يوسف الحسين الرازي الصوفي لما سأله: «ما الجرح والتعديل؟» الكفاية، ص٨٢.

(٤) التقييد والإيضاح، لزين الدين العراقي، ص٤٤٠.

■ **المثال الأول**: عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: **ائذنوا له فبئس رجل العشير (أو بئس رجل العشيرة)**[1]، فقد أورد الخطيب البغدادي[2] هذا الحديث بسنده للاستدلال على أن النبي ﷺ جرّح وعدّل.

■ **المثال الثاني**: قصة حاطب بن أبي بلتعة وفيها أن النبي ﷺ قال: «**أما إنه قد صدقكم**»، يعني حاطب، لما أجابه في الدفاع عن نفسه لما أقرَّ الكتاب الذي أرسله إلى قريش... الحديث[3].

ما ذكرنا من وقائع وأمثلة أخرى[4] التي جرح فيها الرسول ﷺ بعض الأشخاص أو وصف آخرين بالصدق، تفيدنا بأنه عليه الصلاة والسلام وضع الخطوط العريضة لفن الجرح والتعديل.

مشروعية تعديل النساء وتجريحهن:

انقسم العلماء في ذلك إلى قسمين:

١- القسم الأول: يرى **عدم قبول تعديل النساء**، لا في الرواية ولا في الشهادة، وقد حكاه أبو بكر الباقلاني عن أكثر الفقهاء من أهل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، ١٠١/٤، عن عائشة.

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ١٤٧/٣، ١٤٨، عن علي ابن أبي طالب.

(٤) قول النبي ﷺ في اثنين من المنافقين: «ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً». البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الظن، ١٠٤/٤، عن عائشة، وقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأبا الجهم لا يضع عصاه عن عاتقه...». أحمد، المسند، ٤١٣/٦.

المدينة[1]، وهم يمثلون الجانب المتشدد في هذا الموضوع. وتجدر الإشارة إلى أن أبا بكر الباقلاني يقبل تزكية المرأة مطلقًا في الرواية[2].

٢- القسم الثاني: وهو الجمهور؛ يرى أن **يقبل تعديل المرأة والعبد العارفين**[3]، فكما تقبل روايتها تقبل تزكيتها، وهذه مسائل فقهية كما يقول الغزالي ثبتت بالمقاييس الشبيهة[4]، ولا شيء يمنع من ذلك من إجماعٍ أو غيره، على ملحظ أبي بكر الباقلاني[5].

أدلة مشروعية تعديل المرأة وتجريحها:

■ قصة الإفك وتعديل النساء:

إن واقعة الإفك التي نزل فيها القرآن الكريم تبرئة لأم المؤمنين عائشة، احتوت إشارات بليغة في بيان مشروعية تعديل النساء وتجريحهن، إذ لما خاض المنافقون في الكلام على أم المؤمنين ومكث النبي ﷺ شهرًا لا يوحى إليه، أشار علي بن أبي طالب على النبي ﷺ بسؤال جارية عائشة بريرة، فدعا النبي ﷺ بريرة وقال لها: **أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك**؟ فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأيت

(١) التقييد والإيضاح، لزين الدين العراقي، ١٤٣، ١٤٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) المستصفى، لأبي حامد الغزالي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان ط/١٩٨٧م، ١٦٢/١، وهو رأي السخاوي أيضًا في فتح المغيث ٢٧٢/١.

(٤) المستصفى للغزالي، ١٦٢/١.

(٥) الكفاية للخطيب البغدادي، ص١٦٣.

عليها أمراً قط أغمصه[1]، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله[2].

ففي السؤال ما يبين أن بريرة مطالبة بالإخبار عن شيء زائد غير معلوم، ثم قد تحقق أنها أهل لهذه الشهادة لقول علي رضي الله عنه: أسأل الجارية تصدقك[3].

والتوجه نحو بريرة أيضًا لأنها عارفة بأحوال عائشة، فقد تحقق إذاً في بريرة شرطا العدالة والمعرفة بحال المراد تعديله أو تجريحه. وعلى هذا إخبارها بما تعلم معتبر ومعتمد.

- ثم إنه ﷺ سأل زينب بنت جحش بقوله: «**ماذا علمت أو رأيت؟**» فأجابته مزكية لعائشة: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً..[4].

فسؤال الرسول ﷺ عن حال عائشة، وجواب بريرة وزينب، واعتماد النبي ﷺ قولهما حتى خطب واستعذر ﷺ من عبد الله ابن أبي، ففي مجموع ذلك ما يفيد جواز تعديل النساء، ثم إن إشارة علي على النبي ﷺ تدل على أن تعديل النساء لم يكن أمراً مستنكراً، بل كان جار ومستفيضاً طالما تحقق شرط العدالة والمعرفة بأحوال من يراد تعديله أو جرحه.

---

(١) أي أعيبه عليها، انظر: هدى الساري ١/١٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات...﴾.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

- وقد أورد البخاري هذه القصة تحت أبواب متعددة منها باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا[1].. وقال ابن حجر[2]في بيان الترجمة: ولعل الترجمة توحي بأن الجواز مقتصر على تعديل النساء لبعضهن لا للرجال، وهذا غير وارد، إذ نقل بعد ذلك: أن الجمهور على جواز قبولهن مع الرجال فيما تجوز شهادتهن فيه[3]، ولما كان الأمر متعلقًا بالرواية ولا تعلق له بالأموال والأرواح جاز التعديل ولو أتى من واحدة منفردة.

- وفي قبول تعديل المرأة، عقد الخطيب البغدادي بابًا ترجم له هكذا: «ما جاء في كون المعدل امرأة»؛ مبينًا أن أصل هذا الباب سؤال النبي ﷺ بريرة في قصة الإفك[4].

الجرح والتعديل بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

قبل الكلام على هذا، يجدر التنبيه أننا وإن أطلقنا اللفظ الاصطلاحي لفن الجرح والتعديل في عصر الصحابة، فلا بد من الاحتراز في قضية العدالة لدى هؤلاء الصحب الكرام، إذ الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، لتعديل الله تعالى لهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا يحدثون عن رسول الله ﷺ مباشرة أو

---

(١) البخاري، الشهادات، باب ١٥، ٢/٢٥٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ٥/٢٧٣.

(٣) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٤) الكفاية، للخطيب البغدادي، ١٢١.

بواسطة صحابي آخر، فعن البراء قال : «ليس كلنا كان يسمع حديث النبي ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب»[١]فلم يجدوا غضاضة في السماع من صحابي آخر ورفعه إلى النبي ﷺ، وما كان أحد يشك في الآخر أو يتهمه. فعن أنس رضي الله عنه: أنه حدّث بحديث، فقال له رجل: «أسمعت هذا من رسول الله ﷺ» قال: «نعم أو حدثني من لم يكذب، والله ما كنا نكذب، ولا ندري ما الكذب»[٢]، ومع ذلك كله فالصحابة بشر وهم معرضون كغيرهم للسهو والنسيان، ويعتريهم الوهم أحيانًا، ولا يعني تعديلهم نفي إمكانية السهو والنسيان عنهم.

فحيث لا يوجد بين الصحابي وبين الرسول ﷺ سلسلة إسناد، بل الواسطة هي واحدة من الصحابة غالبًا[٣]فقط، فإن الوهم إن كان، فإنما هو من الراوي الصحابي، وإنما يقع له الوهم غالبًا للأسباب التالية[٤]:

- يحدث بما سمع ولا يدري أنه منسوخ.

- أن يقع له انقلاب بين شيئين أو لفظين (المقلوب).

---

(١) السنن الكبرى. للبيهقي. ١/٢٠٠. ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري. ص١٤.

(٢) البيهقي في سننه. ١/٢٠٤.

(٣) لأنه قد يروي الصحابي عن التابعي. كرواية العبادلة وغيرهم من الصحابة عن كعب الأحبار. انظر التقييد والإيضاح. ص٢٨٥.

(٤) منهج نقد المتن عند علماء الحديث. د. صلاح الدين الإدلبي. ص١٤١.

- أن يقول مع رواية الحديث قولاً من عند نفسه، متصلاً بنص الحديث، فيظنه السامعون مرفوعًا (المدرج).
- أن يروي الحديث في مورد يجعله يتحمل من المعنى أكثر مما يحتمل.
- أن يروي الحديث على غير وجهه، لغفلته عن سبب الورود.

لكن الصحابة الآخرين ما كانوا ليسكتوا على الخطأ، بل كان بعضهم يصحح لبعض ما وهم فيه.. وأوهام الصحابة مع ذلك قليلة بالنسبة لمن بعدهم.. وتوافر إخوانهم من أصحاب رسول الله ﷺ، كان عاملاً في ضمان التصحيح وسرعته. لذلك قد نجد الصحابي الذي يصحح، يصف صاحب الرواية المعترض عليها بالوهم أو الخطأ، وهذا قصارى ما يرد في الجرح والتعديل عند الصحابة رضي الله عنهم جميعًا لخروج الكلام في العدالة منه، وكان ممن تكلم في هذا الفن من الصحابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد ذكر ابن عدي أن عدداً من الصحابة تكلموا في الجرح والتعديل، وذكر منهم عائشة رضي الله عنها[1].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتعديل:

كان موقف أم المؤمنين إذا سمعت من أحد رواية لا تتفق مع ما تعلمه عن رسول الله ﷺ أن تبادر إلى بيان الوهم الواقع فيها، فقد

---

(١) الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ١/٥.

وهَمت رضي الله عنها جماعة من الصحابة في رواياتهم للحديث.. أورد هنا بعض الأمثلة:

● **المثال الأول**: وهمت أم المؤمنين عائشة ابن عمر في تواريخ اعتمار النبيﷺ إذ أنكرت عليه كونه عليه الصلاة والسلام اعتمر في رجب.. الحديث[1]، وفيه أن ابن عمر سكت حين راجعته، وفي هذا يقول النووي[2]: «سكوت ابن عمر على إنكار عائشة يدل على أنه قد اشتبه عليه أو نسي أو شك، واستدل ابن حجر بالرواية على صدور الوهم من الصحابي، فقال: «وفيه دليل على أنه يدخل الوهم الصحابي والنسيان لكونه غير معصوم»[3]، وزاد القرطبي[4]على قول ابن حجر: إن ابن عمر رجع لقولها.

● **المثال الثاني**: غلطت أم المؤمنين ابن عمر في روايته لحديث أذان بلال وأذان ابن أم مكتوم، وكانت تقول بعد أن أتت بالرواية على الوجه الذي تعلمه صحيحًا: «غلط ابن عمر»[5]. وحسب رأي أم المؤمنين فإن غلط ابن عمر تمثل في قلبه للحديث، فجعل مؤذن الليل مبصراً وهو بلال، ومؤذن الصلاة أعمى وهو ابن أم مكتوم.

---

(١) البخاري، العمرة، باب كم اعتمر النبيﷺ، عن طريق عائشة.

(٢) النووي في شرحه لصحيح مسلم، ٧-٨/٢٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢-٦.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) سنن البيهقي ١/٣٨٢، وصححه الزركشي، ورواه أحمد عن عائشة، وليس فيه تغليط ابن عمر.

● **المثال الثالث**: في رد حديث ابن عمر: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»[1] فبعد أن ذكرت رضي الله عنها تصحيح الرواية وسبب ورود الحديث قالت: «أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ»[2] وصرحت بنسبته للوهل والوهم.

● **المثال الرابع**: كما ردت عائشة رواية أبي هريرة لحديث: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودمًا، خير له من أن يمتلئ شعراً**»،[3] فبعد أن صححت الرواية قالت: «لم يحفظ الحديث»[4] وتعني أبا هريرة ونسبته لغفلة في عدم ضبطه لهذا الحديث.

وأمثلة أخرى فيها توهيم عائشة لبعض الصحابة لرواياتهم لبعض الأحاديث، مما يدل على أنها رضي الله عنها كانت من أول من تكلم في الجرح والتعديل في رواية الحديث، ومن المكثرين أيضًا، وقد تيسر لها هذا بسعة علمها وحفظها لحديث رسول الله ﷺ، وفهمها لمعانيه وفقهها لأحكامه، واطلاعها على سبب وروده، مع ما حباها الله تعالى من فطنة وذكاء.. فهذه بحق الشروط التي ينبغي توفرها في الذي يخوض في هذا الفن، وهذا في كل العصور.. وعلى هذا، مساهمة

---

(١) البخاري. الجنائز. قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكا. أهله.... ١/٣٩٦.

(٢) وفي رواية «سمع شيئا ولم يحفظ». انظر نفس الحديث في البخاري ١٢٨٨. ومسلم ٩٢٩.

(٣) راجع هذا الحديث في المبحث السابق.

(٤) رواه الطحاوي. شرح معاني الآثار. ٤/٦٩٢.

النساء في هذا العلم موقوفة بتوفر الشروط اللازمة.. وللخوض فيه اعتبارات أخرى.. وقد رأينا حظ أم المؤمنين فيه، فقد كانت رضي الله عنها بحق محدثة عصرها، بل كافة العصور، وناقدة بارعة.

الجرح والتعديل عند غير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

إن علماء الجرح والتعديل معروفون عبر مختلف العصور، المتشدد منهم والمعتدل والمتساهل، معروفة مناهجهم في الكلام في الرجال، لكن المصنفات لم تسجل لنا ذكر النساء اللائي ساهمن مساهمة فعلية ومباشرة في هذا الفن، اللهم إلا أم المؤمنين عائشة، غير أن علم الجرح والتعديل في عصرها، لم يكن بعد قد استقر على شكله النهائي، غير إننا من خلال التفتيش في تراجم النساء العالمات، المعروفات بالرواية والطلب، حصلنا على إشارات فيها دلالة إما مباشرة أو ضمنية على أنه وجد في النساء من تكلمت في الرجال، أحيانًا لا يكون كلامها بالمفهوم الاصطلاحي لكن هو من باب التصحيح وبيان الخطأ، مما يمكن إدراجه تحت الوهم وقلة الضبط.. ونورد هنا بعض الأمثلة:

● **المثال الأول**: كلام أم عمر الثقفية[1] في التعديل.

---

(١) أم عمر بنت ابي الغصن حسان بن زيد الثقفي. حدثت عن أبيها وعن زوجها سعيد بن يحيى ابن قس. روى عنها أبو إبراهيم الترجماني. وأحمد بن حنبل. ومحمد بن الصباح الجرجاني. وإبراهيم ابن عبد الله الهروي وغيرهم. قال عنها أحمد لا بأس بها. العلل ومعرفة الرجال. ٣/٥٠١.

فقد أورد الخطيب البغدادي[١] بسنده إلى أحمد بن حنبل قال: حدثتنا أم عمر ابنة لحسان بن زيد، قالت: «أبي عجوز صدوق».

فأم عمر كانت معروفة في عصرها بطلب العلم، إذ روت عن أكابر المحدثين، تكلمت في فن الجرح والتعديل بالكلام في تعديل أبيها بقولها: «صدوق»، وهي في ذلك أهل للاعتماد، لأنها:

- لم تكن مجهولة في عصرها، بل كانت من أهل العلم.

- وهي تخبر بما تعرفه عن مقرب إليها هو أبوها، فهي إذاً لا تحدث إلا بما تعرفه عنه في العدالة، ولا يهمنا هنا إن كان تعديلها لأبيها معتمداً أم لا، لكن أوردنا هذا المثال لبيان أن المرأة المسلمة لم تكن بعيدة عن هذا الفن.

● **المثال الثاني**: ومن تجريح النساء قول أسماء للحجاج بن يوسف:

قالت أسماء بنت أبي بكر للحجاج: «أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاب ومبير، أما الكذاب فقد عرفناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه»[٢].. ففي النص ما يفيد أن أسماء رأت الحجاج، إذ طبقت فيه الصفات التي تجعله مبير ثقيف في قتله الناس[٣]، وهذا

---

(١) تاريخ بغداد، ١٤/٤٣٢.

(٢) صحيح مسلم. فضائل الصحابة. باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ٤:٤٢. ص١٩١١.

(٣) انظر الامامة والسياسة. ابن قتيبة. منشورات الشريف الرضي. قم. ايران ط٣. ١٩٦٩م. ٢/٣٢.

تجريح له منها . . وقد اتفق العلماء فيما بعد على أن المراد بالكذاب في الحديث: المختار بن عبيد الله، والمبير الحجاج بن يوسف الثقفي[1].

● المثال الثالث: فاطمة بنت الإمام مالك تبين الخطأ:

إن فاطمة بنت الإمام مالك وهي من رواة الموطأ في المدينة[2]، وكانت تحفظ علم مالك، فإذا جلس للدرس جلست من وراء حجاب تسمع، فإذا أخطأ أحد التلاميذ في شيء دقت الباب للتنبيه على الخطأ، فيصحح له مالك[3]، وهذا فيه تتبع فاطمة بنت مالك لحفظ الرواة ونقدهم.

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٠٠.

(٢) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ، دار الفكر، بيروت، ص٥.

(٣) قول ابن بكار: كانت فاطمة بنت الإمام تحفظ علمه، من ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ١/١٠٩.

خاتمة

يمكن تلخيص البحث في النقاط الآتية:

١- اهتمام النبي ﷺ بتعليم المرأة، وتشجيعها على المشاركة الإيجابية في حياة المسلمين.

٢- توفي النبي ﷺ عن تسع زوجات رضي الله عنهن جميعًا، كلهن روين وبلّغن سننه، مع تفاوت بينهن في الكثرة والقلة.

٣- إحدى زوجاته ﷺ وهي السيدة عائشة رضي الله عنها، تعتبر من المكثرين من الرواية مع ست من الصحابة هم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأنس، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس.

٤- عرفت القرون الثلاثة الأولى وجود راويات، صحابيات، تابعيات، تابعيات التابعين، تابعيات التبع. منهن الثقة، ومنهن المقبولة، ومنهن المجهولة أو مستورة الحال.

٥- الرحلة لطلب الحديث عرفتها المرأة منذ الصدر الأول للإسلام، عندما كانت تفد مع الوفود على رسول الله ﷺ، ثم عرفتها عن طريق الحج والانتقال من بلد إلى بلد لتستقر فيه، ونقلت لنا آثارًا تحملتها أثناء هذه الرحلات.

٦- مساهمة المرأة راوية في الكتب الستة أمر واضح، سواء بعدد

الراويات، أو بعدد الروايات، أو بالقيمة الحديثية للمروي.

٧- لم تقتصر مساهمة المرأة على خدمة علم الرواية، بل أدلت المرأة بدلوها حتى في فن الرواية، فتكلمت في نقد الروايات، كما تكلمت في جرح الرواة وتعديلهم.

النتائج المتوصل إليها:

وتم التوصل إلى النتائج التالية:

١- أن الصحابة لم يكونوا أسوة في الإيمان والجهاد والصبر والزهد... وغيرها من المكارم فحسب، بل كانوا أسوة كذلك في حب العلم والإقبال عليه، ويصدق هذا على الصحابيات من خلال تتبع نشاطهن العلمي الذي كان جزءاً لا يتجزأ من حياتهن اليومية.

٢- كان محور رواية النساء وبداية تأسيسها قائماً على جهود أمهات المؤمنين عموماً.

٣- كان دور أم المؤمنين عائشة في خدمة الحديث عظيماً من خلال الجهود التي قدمتها في هذا الميدان، سواء من حيث عدد الأحاديث التي روتها أو موضوعاتها، أو السنن التي تفردت بروايتها، كل هذه الجهود غطت على جهود جميع النساء الراويات مجتمعات، فكانت بحق محدثة عصرها، بل كل العصور.

٤- يلاحظ: تراجع الرواية النسائية بعد عصر التابعيات، أي بعد

ذهاب تلميذات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا وخاصة تلميذات عائشة رضي الله عنها، حتى كادت تنعدم في أواخر القرن الثالث.

٥- الكلام عن سير حركة الرواية النسائية وتطورها، مرتبط بالمادة الإخبارية التي توفرها كتب الحديث، والتاريخ، والتراجم، وهي من غير شك لا تعكس الحقيقة الأكيدة عن الحياة العلمية للنساء وخاصة بالنسبة لاهتمامهن بالحديث.

٦- وما نذهب إليه هو أن الخدمة التي قدمتها النساء للحديث، تحملاً، وأداءً وتبليغًا ونشرًا، كانت قائمة على جهود فردية لا يضبطها اتجاه موحد.

٧- لعل الأسباب التي جعلت رواية النساء المحصاة قليلة نوعًا ما، هو غلبة رواية الرجال من جهة وخاصة الحفاظ منهم، ومن جهة أخرى فإن أمر التحديث لم يكن مهنة تمتهن في كل حال، بل كانت موقوفة على المناسبات والأحداث، من أسئلة وفتاوى، أو بغية بيان حكم احتيج إليه مثلاً.

٨- قلة المعلومات والأخبار عن الراويات وما توفر لدى المصنفين، لا يكفي لإعطاء صورة واضحة عن مركز الراوية العلمي، بل يبخسها حقها، فتلحق بالمجاهيل ليس لشيء إلا لأنه لم يرو عنها إلا واحد.

٩- لم يكن هناك تشجيع عام للحركة العلمية النسائية، إلا ما كان قائمًا كما ذكرنا على جهود فردية، كما فعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في تعليم جيل من التلميذات كان أغلبهن في حجرها.

التوصيات:

ونقترح الأمور الآتية:

■ ندعو كل أب غيور على دينه، أن يربي في ابنته منذ الصغر حب العلم، ويوجهها إلى الاقتداء بحياة أمهات المؤمنين، وخاصة أم المؤمنين عائشة، في بث سنة الرسول ﷺ بين الناس.

■ نقترح على المسؤولين القائمين على المؤسسات التعليمية الخاصة بالنساء، أن يعملوا لهن ندوات ومؤتمرات دورية حول المحدثات والعالمات، اللائي عرفتهن حضارتنا الإسلامية عبر العصور، والتعريف بآثارهن وجهودهن في مجتمعاتهن.

■ أدعو كل بنات جنسي إلى التمسك بالسنة المطهرة، من خلال تتبع حياة الصحابيات، لاكتساب هممهن وعفويتهن وثقتهن النفسية، ونبذ كل الأفكار التي تسلبهن الحق في السؤال والفهم والاختيار والاعتراض؟، للوصول إلى الحق واليقين والالتزام به، حتى لا يكن ضحية لتحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* تقديم بقلم الأستاذ عمر عبيد حسنه	١١
* المقدمة: أهمية الموضوع وسبب اختياره	٢٧
* التمهيد: عناية الإسلام بالمرأة... تعليمًا	٣٥
* الفصل الأول: دور المرأة في الحديث... رواية	٤٥
المبحث الأول: دور أمهات المؤمنين في خدمة الحديث	٤٥
المبحث الثاني: طبقات الراويات في القرون الثلاثة الأولى	٩١
المبحث الثالث: رحلة النساء في طلب الحديث وأدائه	١٢٣
المبحث الرابع: دورالمرأة في روايات الكتب الستة	١٤١
* الفصل الثاني: دور المرأة في الحديث... دراية	١٥٧
المبحث الأول: صور التحمل والأداء عند المرأة	١٥٧
المبحث الثاني: دور المرأة في نقد الروايات	١٦٩
المبحث الثالث: دور المرأة في الجرح التعديل	١٨٥
* خاتمة	١٩٩
* الفهرس	٢٠٣

آمال قرداش بنت الحسين

* من مواليد مدينة باتنة شرقي الجزائر عام ١٩٦٧م.

* حصلت على:

- بكالوريا رياضيات تقنية عام ١٩٨٤.

- بكالوريوس من قسم الدعوة والإعلام بكلية أصول الدين في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة (الجزائر) عام ١٩٨٩م.

- ماجستير في الحديث النبوي الشريف، من كلية أصول الدين في الجامعة العالمية الإسلامية بإسلام آباد (باكستان) عام ١٩٩٨م.

* تعمل بالتدريس في المركز الثقافي الإسلامي التابع لمسجد «الدعوة» بالعاصمة الفرنسية (باريس).

* تشارك في البرنامج التلفزيوني الذي يبث عبر القناة الفرنسية الثانية تحت إشراف الجمعية الفرنسية الإسلامية «Connaitre L'islam».

* تجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية، فضلاً عن العربية.



ص . ب : ٨٩٣ . الدوحة . قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة، في ضوء القيم الإسلامية .
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة والموضوعية، والمنهجية .
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره .
- أن يُوثَّق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث .
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق .
- أن يكون البحث بخط واضح، ويفضل أن يكون مكتوباً على الآلة الكاتبة ، وألا يزيد عن مائة صفحة (حجم فولسكاب) تقريباً .
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد . .
- تُرسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.

تقدم مكافأة مالية مناسبة

وكـــــلاء التـــوزيـــع

البلـد	اســـم الوكيـــل	رقم الهاتف	عنــوانــه
قطـــر	□ دار الثقافة □ دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤١٤١٨٢ ٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ ـ الدوحة فاكس: ٤٣٦٨٠٠ ـ بجوار سوق الجبر
السعودية	□ مكتبة الوراق	٤٥٠٩٠٥٧-٤٥٥١١٤٢	ص.ب: ٩ الرياض ١١٤١١ فاكس: ٤٥٣٠٠٧١
الإمارات	□ مكتبة علوم القرآن	٣٧٤٤٤٥	ص.ب: ٢١٦٣٣ ـ الشارقة فاكس: ٣٦١١١٠ ـ الإمارات
البحرين	□ مكتبة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ ـ البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويت	□ مكتبة دار المنار الإسلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ ـ حولي ـ شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	□ مكتبة علوم القرآن		ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	مؤسسة الفريد للنشر والتوزيع	٥٦٠١٠٩٩	ص.ب: ٩٦٠٦٥٤ ـ عمّان فاكس: ٥٦٩٨٩٢٩
اليمن	□ مكتبة الجيل الجديد	٧٨٠٤٠ـ٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ـ٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤ ـ صنعاء
السودان	□ دار التوزيع	٧٧٩٤٦٠ـ٧٧٥٥٨٥	ص.ب: ٣٥٨ ـ الخرطوم
مصر	□ مؤسسة توزيع الأخبار	٧٥٨٨٨٨ـ٧٤٨٨٤٤ ٧٤٨٨٨٨	ص.ب: ٧ ـ القاهرة فاكس: ٥٧٤٨٧٠١
المغرب	□ الشركة العربية الأفريقية للتوزيع «سبيرس»	٢٤٩٢٠٠	ص.ب: 13008 - 70 زنقة سجلماسة الدار البيضاء 5 ـ فاكس: ٢٤٩٢١٤
إنكلترا	□ دار الرعاية الإسلامية	(01) 272-5170/ 263 - 3071	**Muslim Welfare House,** 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax : (071) 281 2687 Registered Charity No: 271680

ثمن النسخة

الأردن	(٥٠٠)	فلس
الإمارات	(٥)	دراهم
البحرين	(٥٠٠)	فلس
تونس	دينار	واحد
السعودية	(٥)	ريالات
السودان	(٤٠)	دينارًا
عُمان	(٥٠٠)	بيسة
قطر	(٥)	ريالات
الكويت	(٥٠٠)	فلس
مصر	(٣)	جنيهات
المغرب	(١٠)	دراهم
اليمن	(٤٠)	ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا، دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

مركز البحوث والدراسات

هاتف : ٤٤٧٣٠٠

فاكس : ٤٤٧٠٢٢

برقياً : الأمة ـ الدوحة

ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

موقعنا على الإنترنت:

www.islam.gov.qa

البريد الإلكتروني :E-Mail

M_Dirasat@Islam.gov.qa

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مركز البحوث والدراسات

جائزة مكتبة الشيخ
علي بن عبد الله آل ثاني
للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء في ميادين العلوم الشرعية المتعددة ، تنظم مكتبة الشيخ علي ابن عبد الله آل ثاني رحمه الله الوقفية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، جائزتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري.

شروط الجائزة :

١ - يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أُعدّت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ - يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوبًا على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة «A4 x ٢٢ سطراً x١٢ كلمة».

٣ - يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز

قد نُشر سابقًا، أو قُدِّم إلى جهة أخرى، لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية. كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤- يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثَين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥- لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦- يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه، وثبتًا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧- تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

* وقد أعلن عن موضوع: « **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر** » كعنوان لجائزة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، وفق الأطر العامة الآتية:

- الأسس الشرعية لبناء الأسرة.
- الأسرة في مرحلة القدوة (العهد النبوي والخلافة الراشدة).
- دور الأسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الأسرة (تحديات داخلية وخارجية)، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

ومـوضـوع «**إشكـاليـة الـتـعليم في العـالم الإسـلامي**» كـعنوان لجـائزة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وفق الأطر العامة التالية:

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعـاد الإشكالية: البـعد السـياسي، البـعد الإعـلامي، والثـقـافي، البـعـد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عـجز التـعليـم بمؤسـسـاته المختلفـة عن تحـقيـق أهدافـه: مـواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسـسـات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

※ آخر موعد لاستلام بحث (**الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**)، شهر إبريل عام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث (**إشكالية التعليم في العالم الإسلامي**)، شهر فبراير عام ٢٠٠١م.

العنوان البريدي:

- ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

مـركـــز البحـــوث والـدراســـات

ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

للاستفسار، يرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ ٣٢٨٢٥٤

فاكس: ٤٤٧٠٢٢ ـ ٠٠٩٧٤

البـريد الإلكتـروني: E-Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٢٩٦ لسنة ١٩٩٩
الرقم الدولي (ردمك) : ٣ - ٨٩ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

طبع بمطابع علي بن علي

هذا الكتاب .. محاولة أكاديمية لإبراز وتأصيل دور المرأة وعطائها في الحياة الإسلامية، حيث كانت في تراثنا الثقافي من ورثة النبوة، راوية للنص الديني الملزم، لعل ذلك يصبح دليل عمل للمرأة المسلمة في كل عصر، حيث يعتبر هذا العطاء من أعلى أنواع الأهلية وأرقى مراتب التكريم والقيمة الإنسانية، فأحكام الدين بكل ما تصوغه من حياة الناس تُتلقى وتنقل من المرأة، كما تتلقى وتنقل من الرجل، وبهذا يتأكد أن المرأة المسلمة -تاريخيًا- لم تكن غائبة عن الحياة، وإنما شاركت الرجل في بناء المجتمع، ومارست دورها ضمن إطار القيم الإسلامية والرؤية الإسلامية الشاملة، ولم تكن سلعة رخيصة للاستهلاك، تنتهي إلى التحلل وإهدار الكرامة باسم التحرر.

لذلك فإن دور المرأة لا بد أن ينظر إليه ويمارس ضمن الرؤية الإسلامية الشاملة، والإطار المرجعي الإسلامي، والضوابط الشرعية التي تحكم حركة المجتمع الذي يدين بالمشروعية العليا للإسلام ويعمل لبلوغها، ويتعاون في ذلك جميع أفراده، ويستفتي الإسلام في المواقع المتعددة، لا أن تكون الأحكام الفقهية محلاً للعبث تقطع بحسب الأقيسة والأحجام والرقع المطلوبة.

ومما يعطي الكتاب تميزه أنه في أصله رسالة للماجستير خضع للمناقشة والمعايير العلمية.

موقعنا على الإنترنت: www.islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E-Mail: M_ Dirasat@Islam.gov.qa

مطابع علي بن علي
Ali Bin Ali Printing Press